سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (52) | 16 / 9 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

لوحة الغلاف:
عمل بعنوان: الشاهد والشهيد | الفنانة: يارا النجم

اللاجئون السوريون..
قصص مأساوية ولجوء إلى المجهول

قصص إنسانية كتبت سطورها بالدم والخوف واللجوء: شفاء وأخوها عمر وغيرهم من السوريين اضطروا إلى اللجوء إلى دهوك في كردستان العراق هربا من نظام الأسد وشبيحته. بيرغيت سفينسون قامت بزيارة لمخيم للاجئين السوريين في مدينة دهوك وأعدت هذا التقرير.

"شفاء" امرأة سورية حازمة تريد إخبار العالم عن مدى معاناة الشعب السوري، تتحدّث بصوت مرتفع وثم تصرخ معبّرة عن إحباطها وتقول: "نحن نعيش في مقبرة. والناس يموتون في كل أنحاء سوريا!". هذه الشابة التي يبلغ عمرها أربعة وثلاثين عاما جاءت إلى هنا قبل يومين فقط برفقة عائلتها من قرية تقع بالقرب من مدينة حمص، حيث كانت تعمل هي وزوجها في إحدى المزارع. وبعد أن ذهب زوجها إلى المدينة بسبب زيارتها من قبل لجنة المراقبين الدوليين التابعة للأمم المتّحدة وشارك في المظاهرات هناك، لم يعد أفراد الأسرة يأمنون على حياتهم. وقبل هربها أصيبت ابنة أختها بطلقة قتلتها وأصيبت أختها بجروح خطيرة. وأخيرا أوصلها المزارع الذي تعمل لديه بسيّارته البيك أب إلى الحدود العراقية.

وكان أخوها عمر يؤدّي خدمته العسكرية في الجيش السوري وقد تم وضعه في مدينة القامشلي ولكنه عندما سمع أنّ شقيقته في طريقها باتجاه العراق ترك وحدته العسكرية وذهب مع أخته. وتقول شفاء: "نحن أكراد وكانوا يريدون منه أن يطلق النار على أكراد". وتقع مدينة القامشلي في أقصى شمال شرق سوريا في مثلث الحدود السورية مع تركيا والعراق، حيث يعيش هناك معظم أكراد سوريا الذين يقدّر عددهم بثلاثة ملايين نسمة. ويقول البعض إنّ الجنود السوريين يطلقون النار على اللاجئين الذين يريدون الذهاب إلى تركيا. لا يستطيع عمر تأكيد ذلك ولكنه سمع مثل هذه القصص. ومنذ عدة أعوام يقاوم الأكراد في سوريا نظام الأسد مقاومة شديدة وقد وقعت هناك في عامي 1986 و2004 حوادث عنف وهيجان شعبي.

وعلى بعد بضعة كيلومترات عن الحدود أنزل المزارع أسرة شفاء من سيّارته البيك أب حيث كان يجب عليهم مواصلة طريقهم سيرا على الأقدام. وتقول شفاء بحسرة: "لقد تركنا كل شيء خلفنا ولم نأخذ معنا إلا ملابسنا التي كنا نرتديها وما استطعنا حمله". وتضيف إنّهم دفعوا خمسة وسبعين ألف ليرة سورية (نحو تسعمائة وثلاثين يورو) لمهرّب ساروا معه ست ساعات في الظلام حتى وصلوا الأراضي العراقية. وفي منطقة ربيعة التي تقع في أقصى شمال غرب العراق أرشدهم حرس الحدود العراقيون الأكراد إلى طريق مخيّم للاجئين، واضطروا من جديد إلى قطع مسافة مائة وأربعين كيلومترا حتى مناطق الحكم الذاتي الكردية الآمنة في محافظتي دهوك وأربيل. والآن تجلس شفاء وشقيقها عمر في "كونتينر" يستخدم لإدارة أحد مخيّمات اللاجئين خارج مدينة دهوك ويريدان إخبار العالم عن مدى معاناة الشعب السوري وأحواله السيّئة.

وتقول لي شفاء: "لم يعد يوجد لديّ خوف وبإمكانك أن تلتقطي صورا لنا". لا يريد البعض الحديث حول قصصهم بسبب معاناتهم من صدمة أصابتهم نتيجة ما عاشوه من صدمات. وكذلك ما يزال يوجد لدى بعض الأشخاص الآخرين بعض من أفراد أسرهم وأقربائهم في سوريا وهم يخافون على حياتهم إذا اكتشف أمر هربهم إلى العراق. وتقول شفاء مفسّرة سبب رفض بعض اللاجئين الحديث إلى وسائل الإعلام: "ما تزال الحكومة تعتبر هذا خيانة وطنية". وتضيف أنّ اسم زوجها هو الآخر مدرج الآن على القائمة السوداء باعتباره "فارا من الخدمة العسكرية" وسيتم إطلاق النار عليه في حال دخوله الأراضي السورية. ومن جانبه يبقى زوج شفاء جالسًا في الخلفية يومئ أحيانًا إيماءات قصيرة ليؤكّد ما تقوله زوجته. ولكن في الواقع لقد بلغ حتى الآن عدد الهاربين من عنف النظام نسبة كبيرة للغاية بحيث صار من غير المؤكّد إن كانت هذه القوائم سوف تبقى لفترة طويلة. إذ بلغ عدد اللاجئين في تركيا وحدها حسب الأرقام الرسمية أكثر من ثلاثين ألف لاجئ سوري، وكذلك يوجد في كردستان العراق حيث بدأ تدفق اللاجئين إلى هناك منذ فترة قصيرة نحو أربعة آلاف لاجئ وفي الأردن إحدى عشر ألف لاجئ، أمّا في لبنان يرجّح وجود عدة آلاف من اللاجئين السوريين ولكن لا توجد هناك إحصاءات رسمية.

الأكراد في عين العاصفة

وتقول شفاء: "نحن الأكراد وضعنا الأسوأ من بين الجميع، إذ لا توجد لدينا أية حقوق"، وتضيف أنّ نصف الأكراد السوريين لا يملكون بطاقات هوية وكذلك لا توجد لديها ولدى عائلتها أية أوراق ثبوتية ولذلك لم يتمكنوا أيضًا من السفر إلى بلدان أخرى بل كانوا يطمعون في رحمة الرئيس الكردي مسعود البارزاني الذي أصدر قبل فترة غير بعيدة مرسومًا يقضي بأنّ جميع الأكراد السوريين الذين يهربون من إرهاب نظام الأسد سيتم إيواؤهم في العراق. وقبل ذلك كان حرس الحدود العراقيون يعيدون اللاجئين القادمين من سوريا.

وتعتبر سياسة العراق تجاه سوريا متناقضة للغاية، وفي حين أنّ الحكومة في بغداد وعلى رأسها رئيس الوزراء نوري المالكي تدعم بشار الأسد وترسل له إلى دمشق النفط والمال والسلاح، وقفت في المقابل حكومة إقليم كردستان في أربيل إلى جانب "أخوتها السوريين" الذين يعارضون نظام الأسد. إذ جاءت محاولة بشار الأسد طمأنة الأكراد متأخرة جدًا عندما وعد في بداية هذا العام منح الجنسية السورية للأشخاص الذين لم يكن لديهم حتى ذلك الحين جواز سفر سوري وبأنّهم يستطيعون أيضًا الحصول على بطاقات هوية. وتقول شفاء مشتكية: "لقد كانت هذه مجرّد كلمات جميلة، مثلما يحدث ذلك في كثير من الأحيان". ولكن لم يعد من الممكن حتى بمثل هذه الوعود إيقاف ثورة الشعب عليه وعلى نظامه.

انكار النظام

كان نظام الأسد ينكر وبكل بساطة طيلة أعوام عديدة وجود الأكراد الذين يشكّلون أكبر أقلية في سوريا. وقد كان ينتهي المطاف بالأشخاص الذين كانوا لا يريدون القبول بهذا الواقع إلى السجن أو المنفى. كذلك كانت تقاليد الأكراد ولغتهم محظورة رسميًا وكانت كلّ محاولة للاحتفال بعيد رأس السنة الكردية "النيروز" تقابل من قبل القوّات الخاصة التابعة لقوى الأمن الداخلي المخيفة بعنف ووحشية. والآن تم انتخاب معارض كردي رئيسًا جديدًا للمجلس الوطني السوري المعارض. وهذا المعارض هو عبد الباسط سيدا المقيم في المنفى في السويد ومن المفترض الآن أن يوحّد مجموعات المعارضة وأحزابها المنقسمة من أجل وضع إستراتيجية مشتركة لمحاربة الحكومة في دمشق.

وتقول شفاء يائسة: "سوريا هي بلدي ووطني وهويّتي". ولكن لا توجد لديها أية فرصة للعودة إلا بعدما يتم إسقاط الأسد، مثلما تقول وتضيف أنّها حتى ذلك الحين سوف تضطر من دون شكّ إلى البقاء في معسكر دهوك الذي وصله حتى الآن ألف وثلاثمائة وستون لاجئًا. وتأتي إلى معسكر اللاجئين سيارة بيك أب تحضر لهم الخبز الطازج والجبن وكذلك يتم تزويدهم بفرشات وبطانيات. ويقول السيّد زاد الله مدير هذا المعسكر: "نحن ما نزال قادرين على مواجهة الوضع"، ويضيف أنّه حصل من حكومة إقليم كردستان في أربيل على ما يكفي من المال للأسر الموجودة في معسكره والتي يبلغ عددها مائتين وأربعين أسرة. "ولكن إذا استمر تدهور الأوضاع في سوريا أكثر وازداد عدد اللاجئين القادمين من سوريا فعندئذ سوف تقل الإمكانيات المتوفرة لدينا".

ويعترف زاد الله أنّ الرعاية الطبية متوفرة للحالات الحادة ولكن عندما تظهر حالات مرضية خطيرة فعندئذ يجد نفسه عاجزًا ويضيف أنّ المستشفيات الموجودة في المناطق الكردية في شمال العراق تعتبر هي الأخرى غير مجهزة تجهيزًا جيّدًا لمعالجة الحالات المرضية المزمنة. فعلى سبيل المثال لا يمكن تقريبًا توفير العلاج لمعالجة مرضى السرطان وإن تم توفيره يكون بكميّات غير كافية. وسيكون جميلا لو استطاعت ألمانيا تقديم بعض المساعدات في هذا المجال.

بيرغيت سفينسون ترجمة: رائد الباش
عن موقع قنطرة

أخوان يقاتلان إلى جانب قوات النظام.. بينما الثالث مع الثوار

معاناة عائلة سورية يقاتل أبناؤها على الجبهتين

ترفع أم ياسر منديلها الوردي لتمسح دموعا تنهمر بلا انقطاع، مستعيدة في ذهنها صور أولادها الثلاثة الذين يقاتل اثنان منهم إلى جانب القوات النظامية، بينما يقاتل الثالث إلى جانب المعارضة المسلحة.

ويقول زوجها تيسير إنه لديهما «ابن في الجيش النظامي، وآخر في الجيش السوري الحر». ولم يرَ تيسير ابنه الثالث محمد (26 سنة)، الطالب الذي كان يدرس الأدب العربي قبل أن يلتحق بالخدمة العسكرية في درعا (جنوب) ثم في محافظة دير الزور (شرق)، منذ ما بعد بدء الحركة الاحتجاجية ضد النظام السوري في مارس (آذار) 2011 بأسابيع قليلة.

وأتم تيسير وجميع رجال هذه الأسرة واجبهم الوطني، إلا أنه منذ أن بدأ النزاع المسلح، وجد الكثير من المجندين أنفسهم محاصرين، خاصة أن مدة هذه الخدمة التي تمتد عادة 18 شهراً يمكن أن تطول إلى أجل غير مسمى.

وأوضح تيسير أن ابنه محمد، الذي سحبت منه السلطات هويته الشخصية، اضطر للبقاء في الجيش لأنه «لو انشق فسيموت»، مشيراً إلى وجود «مئات الحواجز على الطريق»، حسب وكالة الصحافة الفرنسية. وحيال هذا الوضع، رحلت زوجة محمد بعد أن انتابها اليأس إثر إجهاضها الناجم عن التوتر، وعادت إلى أسرتها.

ونادراً ما تتلقى هذه العائلة أنباء عن ولديها لصعوبة الاتصالات الهاتفية في هذه القرية الواقعة شمال حلب. وتعود آخر مكالمة لشهر ونصف الشهر إلا أن الخوف من التنصت أجبر محمد على الكلام مع والده فقط حول الأمطار والطقس فيما انهار باكياً عندما تكلم مع والدته التي تأثرت أيضاً بمحادثته.

وتخشى أم ياسر الأخبار السيئة، وتتخيل مقتل ابنها في كمين نصبه المقاتلون المناهضون للنظام، أو تعذيبه حتى الموت على أيدي الموالين للنظام لو حاول الانشقاق.

كما يخنقها القلق كذلك عندما تفكر بابنها الآخر، أنيس، وهو طالب (23 عاماً) انضم إلى الجيش الحر قبل ثلاثة أشهر، وتقول: «أخشى حقاً أن يقتلا، فكلاهما على الخط الأمامي». وتطلق أم ياسر تنهيدة عميقة قائلة: «إنه أمر صعب».

ويرى تيسير أن قرار ولده أنيس هو النتيجة المنطقية «للمجازر التي ترتكب بحق الشعب السوري» ويضيف أن أنيس قرر «الدفاع عن أرضنا وشرفنا قبل أن يأتوا لقتلنا».

يونيسيف: ألفا مدرسة دمرت بسوريا

أعلنت الأمم المتحدة أن أكثر من ألفي مدرسة دمرت أو تضررت بسبب النزاع المسلح الدائر في سوريا وأن مئات المدارس الأخرى يستعملها اللاجئون.

وقالت المتحدثة باسم صندوق الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) ماريكسي ميركادو أمس الجمعة «سيكون تحدياً كبيراً» تأمين المدارس للأطفال، وذلك قبيل بدء عام دراسي جديد الأحد في سوريا.

وبحسب مسؤولة يونيسيف، فمن أصل 22 ألف مدرسة، تعرض أكثر من ألفي مدرسة لتدمير كامل أو جزئي، وأكدت أن أكثر من 800 مدرسة تقيم فيها عائلات نازحة بسبب النزاع، أي بزيادة مائتي مدرسة عن ما كان عليه الوضع الأسبوع الماضي، وذلك نقلا عن أرقام لوزارة التربية السورية.

وقالت ماريكسي ميركادو إنه من المهم أن يعود الأطفال إلى المدارس لتحويل انتباههم عن «الكابوس» الذي يعيشونه منذ 18 شهراً بسبب تصعيد الأوضاع في سوريا.

وأعلنت يونيسيف الشهر الماضي أن عودة أطفال سوريا إلى المدارس سيمثل مشكلة، مشيرة إلى أن الأمر يتطلب اللجوء إلى بعض الحلول الأخرى مثل إيجاد أماكن بديلة للإيواء أو إقامة خيام ضخمة.

ويذكر أن منظمة يونيسيف لا تنشط إلا في مدينتي درعا (جنوب) واللاذقية (شمال غرب) وكذلك في المناطق الزراعية حول العاصمة دمشق، بحسب المتحدثة التي أشارت إلى أن منظمتها تمكنت من إصلاح 67 مدرسة وتنوي إصلاح مائة أخرى خلال الأيام والأسابيع المقبلة.

أوجاع وطن

رسالة إلى المسيحيين

■ جورج صبرة

أيها المسيحيون، يا أهلي.. أنا ابنكم، ولدت بينكم من أبوين مسيحيين، وعرفت نعمة الصليب المقدس. تعمدت مثلكم في كنيسة الرب بالماء والزيت وبركة الروح القدس، وتزوجت فيها ونلت بركتها، ومن المؤكد أنني سأموت مسيحياً، وأجنز تحت بساط رحمتها.

يا أتباع كنيسة المسيح، أينما كنتم وحيثما حللتم وكيفما كانت مرجعياتكم المسيحية بابوية أو أنطاكية أو إنجيلية أو غيرها.. أناديكم.. أستصرخ ضمائركم

وأدعوكم لوقفة شجاعة مع الذات.. أشحذ فيكم فطنتكم المعهودة والمحبة التي ربيتم عليها وأقول: كفى صمتاً، لقد آن أوان الحقيقة. آن الأوان لتنفضوا عن كواهلكم غبار الاستبداد، وتلفظوا عيشه المقيت، وقد أتاحت لنا الثورة الصعود على طريق الحرية، فلا تترددوا معها في الصعود على طريق الحياة، واتركوا نظام الموت والحقد والدمار يمضي وحده بعاره المزمن إلى نهايته المحتومة.

لستم عابرون في أرض آبائكم وأجدادكم. فبلادكم موطن المسيحية الأول، ومنها خرجت إلى العالم كله. ومنذ قرون وقرون لم تتوقف أجراس الكنائس في سورية عن نداء المؤمنين وإضاءة الشموع، ولم تخل الأديرة من حركة الرهبان وتراتيل الراهبات يوماً واحداً. ليس ذلك بفضل شجاعة المسيحيين ومواظبتهم فقط، إنما بفضل حكمة المسلمين وتعاليم دينهم وموجبات قيمهم الأخلاقية والإنسانية أيضاً. ويذكر التاريخ بصفحات من ذهب كيف استقبل أهلنا المسلمون المسيحيين الأرمن في أيام محنتهم قبل قرن من الزمان. فهذا الشرق منبع الديانات السماوية وخزان القيم الإنسانية الذي بنته الحضارات المتعاقبة، وساهم فيه أجدادكم مع الآخرين من أبناء الوطن، وشاركتم في حفظه واستمراره حتى اليوم.

أنتم أصحاب بيت ولستم ضيوفاً على أحد. وليس لأحد أن يعتبركم ضلعاً قاصراً في وطنكم، حتى يدعي حمايتكم حزب مستبد وجائر أو حاكم ظالم وكاذب أو دولة تدعي « حماية الأقليات «. لقد ساهم أجدادكم بفعالية لا ينكرها جاحد في صنع سورية قديماً وحديثاً. هل أذكركم بيوحنا فم الذهب ابن سوريا وبطريركها وراعي كنيستها الأولى، أم أذكركم بيوحنا الدمشقي حامل أختام الخلافة الأموية والمؤتمن على أسرارها؟! وهل من حاجة لاستذكار مسيرة الكرسي الأنطاكي الوطنية العظيمة بحيث استحق بطريركها لقب « بطريرك العرب «. وفي بناء الدولة الوطنية الحديثة، دولة الاستقلال الأولى، هل أعيد على أسماعكم الدروس التي تحفظونها جيداً، دروس فارس الخوري ومخائيل إليان وحبيب كحالة وفؤاد الشايب ورهط المسيحيين الأوائل من رعيل الاستقلال، التي جعلت المسلمين يأتمنون مسيحياً فارس الخوري على أوقافهم وينصبونه وزيراً لها؟! أنتم مواطنون مثل بقية المواطنين، لكم ما للجميع وعليكم ما عليهم، فلم التردد والقلق ؟! ولم الإحجام عن المشاركة في الشأن العام التي تحدد مصير الوطن والشعب ومستقبلهما معا ؟! كيف ترتضون اليوم أن يقرر أحد عنكم، وأن ترسم مصيركم ومستقبلكم سلطة دموية غاشمة وفاسدة، ولم تكونوا لتفعلوا ذلك من قبل ؟! الثورة تناديكم، تفتح ذراعيها لمشاركتكم. وهي التي تصنع المستقبل لكم ولجميع السوريين.

لا تقولوا: تأخرنا. لقد آن الأوان، ولم يفت الوقت بعد.. فشركاؤكم في الوطن ينتظرون دوركم المفقود بلهفة ومحبة. ومكانكم مازال محفوظاً في معركة الحرية الجارية في طول البلاد وعرضها، ومساهمتكم مطلوبة. وليس لأحد أن يقلل من شأنها. فالحرية والكرامة تطلبكم وتسأل عنكم طالما كان أجدادكم من طلابها والمضحين من أجلها. وقضية العدل وحقوق الإنسان تناديكم للوقوف إلى جانبها بثبات وصوت مرتفع، لطالما كنتم من دعاتها والمدافعين عنها. فالمسيحية الحقة ترفض الظلم والاستبداد والقهر، وتناهض التسلط والقتل وهدر الدماء، وهو ما يفعله نظام الطغاة في دمشق بالشعب السوري منذ عام ونصف العام على مرأى ومسمع العالم بأسره. فما الذي يتبقى من مسيحية المسيحي إذا لم يكن مع قضية الحرية ويشارك بفعالية في بناء مستقبل بلده، وهو ما تصنعه الثورة هذه الأيام بتضحيات لا توصف؟!.

لا تقولوا: ما الذي يمكن أن نفعله، فكلمة الحق في وجه السلطان الجائر أقل الممكن، لكن الممكن أكثر.

نعرف جميعاً، ويعرف العالم معنا قدرة الترهيب التي يوجهها النظام لكم ولكل فئات الشعب. ونعرف نتائج أعمال التدمير والقتل والتنكيل التي وصلت حد الكفر التي يقوم بها النظام من أجل التخويف واستمرار الصمت ومنع الناس من التعبير الحر والمشاركة اللازمة. لكن أصبح واضحاً أن أطفال درعا كسروا جرة الخوف ولم يبق فيها قطرة واحدة بعد ثمانية عشر شهراً من عمر الثورة.

ينشرون دعايات كاذبة عن مصير المسيحيين المجهول بعد سقوط النظام. لكنه ليس مجهولاً كما يشيعون. فهو مصير كل المواطنين السوريين على اختلاف انتماءاتهم، وسوف يكون جميلاً و مفتوحاً على الآمال مثلما كان وضع المسيحيين وبقية فئات الشعب السوري بعد الاستقلال وفي أيام الحكم الديمقراطي و الحريات العامة. إن نظام العدل والحرية وسيادة القانون وحده الذي يصون حقوق الناس. وكان المسيحيون في أفضل حالاتهم عندما نعمت بلادنا في مثل هذا النظام، وسيكونون بخير أكثر بعد انتصار الثورة التي تعدنا جميعاً بحياة أفضل.

يثيرون بين صفوفكم خوفاً مفتعلاً من إخوتكم المسلمين (بالحديث عن القاعدة والتطرف والسلفية). بينما التاريخ الوطني الطويل لسورية ينفي ما يدعون. لأن المسلمين أنفسهم لا يقبلون التطرف وستكون البلاد كلها والشعب كله بالمرصاد لأي تطرف أو إرهاب مهما كان مصدره وكائناً من كان مفتعله. المسلم ليس عدواً للمسيحي حتى يتربص به، فالإسلام نفسه كدين ورسالة ومنظومة قيم يمنع ذلك. وما بين المسيحي والمسلم من أخوة في العروبة واشتراك في المصير عصي على التجاهل والتشويه والنسيان. ولنا من تجربتنا التاريخية في سورية، من عيشنا المشترك لقرون طويلة خير مثال ليدحض ادعاءات السلطة التي تريد تأبيد الدولة الأمنية والنظام البوليسي على أعناق السوريين، النظام الذي يقهر المسيحي وغير المسيحي في الوقت نفسه. فمَن قصف الكنائس في حمص هو نفسه من هدم الجوامع في درعا وحلب ودير الزور. والذي قتل حمزة الخطيب هو الذي قتل باسل شحادة.

أيها المسيحيون، يا أخوتي:

النظام ساقط لا محالة وهذا الشكل من الحكم أصبح في مزبلة التاريخ. ولن يكون نظام الموت والفساد الذي يقوده بشار الأسد جزءاً من مستقبل سورية بأي حال. لقد أصبح شيئاً من ماضيها البغيض، وعلى الجميع أن يتقدم في مسار الثورة لاستقبال الحرية المنتظرة، وكسب شرف الإسهام في بناء سورية الجديدة وطناً حراً لكل أبنائها.

ما زال مكانكم شاغراً، لم ولن يحتله أحد بانتظار حضوركم الميمون بقوة الوطنية العالية المعهودة فيكم للمشاركة في أعمال الثورة ونشاطها المتنوع الأشكال. ويبقى أقلها رفض استمرار النظام وتأييد الثورة والمساعدة على انتصارها. إن إغاثة المصابين والمنكوبين ومساعدة الأحرار من أخلاقيات مجتمعنا ومن فضائل الرسالة المسيحية السامية، وهو أمر لازم في أيام النكبة الوطنية الجارية وفي ظروف الثورة.

الثورة لنا جميعاً، وفي انتصارها المنشود حياة جديدة وواعدة لسورية والسوريين فهنيئاً لمن يضع يداً طيبة بيضاء في ركب الثورة الصاعدة إلى النصر. وطوبى لمن يقول: إنني مع شعبي وأبناء وطني في السراء والضراء، هكذا كنت.. هكذا سأبقى، ويفعل ذلك حقاً.

لبنان: السوريون بحاجة إلى دعم متواصل

بينما تشتد الأزمة في سوريا يوماً بعد يوم، تزداد الاحتياجات الإنسانية إلى حد كبير سواء داخل سوريا أم في البلدان المحيطة بها. فقد قتل وجُرح الكثيرون، وهجر عشرات الآلاف ديارهم وتركوا خلفهم كل ما يملكون. كما أن المساعدات الطبية والإنسانية داخل سوريا محدودة، أما أنشطة الإغاثة للمنظمات الدولية، بما فيها منظمة أطباء بلا حدود، فقد أصبحت مقيدة بشدة. في البلدان المحيطة مثل لبنان والأردن والعراق، عززت منظمة أطباء بلا حدود من استجابتها لاحتياجات اللاجئين الذين يتدفقون عبر الحدود السورية.

يقول فابيو فورجيونه، رئيس بعثة منظمة أطباء بلا حدود في لبنان: "في لبنان، لا يستطيع اللاجئون السوريون الذين نقدم إليهم المساعدة تحمل التكاليف المالية للعلاج الطبي. ورغم أن المساعدات الإنسانية قد انطلقت مع بداية الأزمة، ورغم بقاء العديد من المنظمات حتى الآن، إلا أنه يجب علينا المحافظة على هذه الأنشطة. كما يجب تعزيز الاستفادة المجانية من خدمات الرعاية الصحية والمساعدات الإنسانية لفائدة اللاجئين السوريين".

في يومي 20 و21 تموز، حدث تدفق جديد لآلاف السوريين الذين دخلوا لبنان، ما دفع منظمة أطباء بلا حدود إلى إرسال فرقها إلى المنطقة المحاذية للحدود وإلى وادي البقاع، حيث يستقر الكثير من اللاجئين.

وقد أظهرت دراسة أنجزتها منظمة أطباء بلا حدود شهر حزيران 2012، بشأن ظروف عيش وصحة اللاجئين السوريين، أن كثيرين يعيشون في أجواء من الاكتظاظ والخوف على سلامتهم والمعاناة من ضائقة نفسية، إلى جانب عدم قدرتهم على تحمل نفقات الرعاية الطبية.

وقد شملت الدراسة استجواب نحو 889 أسرة في طرابلس ووادي خالد في شمال لبنان، بالإضافة إلى وادي البقاع شرق لبنان. وكان معظمهم قادمين من محافظة حمص في سوريا، فرّوا من بلادهم بسبب انعدام الأمن وعدم القدرة على الوصول إلى خدمات الرعاية الطبية. وكان ما يقرب من نصف هؤلاء فقدوا على الأقل فردا من عائلاتهم خلال الأشهر الستة الماضية بسبب أعمال العنف في حمص. وكان معظمهم قد وصل إلى لبنان وهم لا يملكون سوى القليل من المتاع، بعد أن تركوا خلفهم عائلاتهم ومنازلهم وأملاكهم وأعمالهم.

ولا شك أن ظروف العيش لدى الكثير من اللاجئين في لبنان صعبة، حيث تُقدر منظمة أطباء بلا حدود أن أكثر من ألف شخص يعيشون في مأوى مكتظة في وادي خالد ووادي البقاع. وبما أن الحدود السورية لا تبعد سوى بضعة كيلومترات، فإن كثيرين منهم ما زالوا يخشون على سلامتهم. أما في مدينة طرابلس، فتكاليف الإيجار مرتفعة، ما يدفع العديد من الأسر للتشارك في تأجير الشقق والعيش في ازدحام شديد.

إضافة إلى كل هذا، عاش معظم اللاجئين أحداثا صادمة، تسببت لهم في ضائقة نفسية كبيرة. وهذا ما يفسر إجراء المعالجين النفسيين والأطباء النفسيين التابعين للمنظمة ما يقارب 800 استشارة طبية في الفترة ما بين نيسان وحزيران، خصوصاً وأن بعض المرضى كشفوا عن تعرضهم للتعذيب في سوريا. وبسبب انعدام الاستقرار السياسي الداخلي والأوضاع الأمنية الحالية، هناك عدد كبير من اللاجئين لا يعتبرون لبنان ملاذاً آمناً.

في المقابل، أجريت في عيادات منظمة أطباء بلا حدود، في الفترة ما بين نيسان وحزيران، 5800 استشارة في الرعاية الصحية الأولية، وهو ما يعكس عجز عدد كبير من اللاجئين السوريين عن الحصول على العلاج لأمراضهم المزمنة، مثل السكري والربو وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب، إما لكونه باهظ الكلفة أو لعدم توفره أصلاً. وإجمالاً، كان 25 في المئة من المرضى يعانون من مرض مزمن يتطلب العلاج، ولكن 19 في المئة من المرضى لم يتلقوا العلاج الذي يحتاجونه.

وقد قال أربعة من أصل كل عشرة أشخاص بأنهم غير قادرين على ولوج المستشفيات في لبنان، إما بسبب التكاليف المعجزة أو بسبب انعدام الأمن.

من أجل ذلك، تجدد منظمة أطباء بلا حدود دعوتها للحصول على التراخيص الضرورية التي تسمح لها بالعمل داخل سوريا. كما تؤكد تمام استعدادها لتعبئة فرقها الطبية والجراحية، وهي عاقدة العزم على مواصلة عملها بكل استقلالية من أجل توفير الرعاية لكل من يحتاجون إليها. تواصل منظمة أطباء بلا حدود دعم شبكة الأطباء السوريين والمستشفيات الميدانية في كل من حمص ودرعا وحماة ودمشق وإدلب، وذلك من خلال توفير الأدوية والإمدادات من البلدان المجاورة.

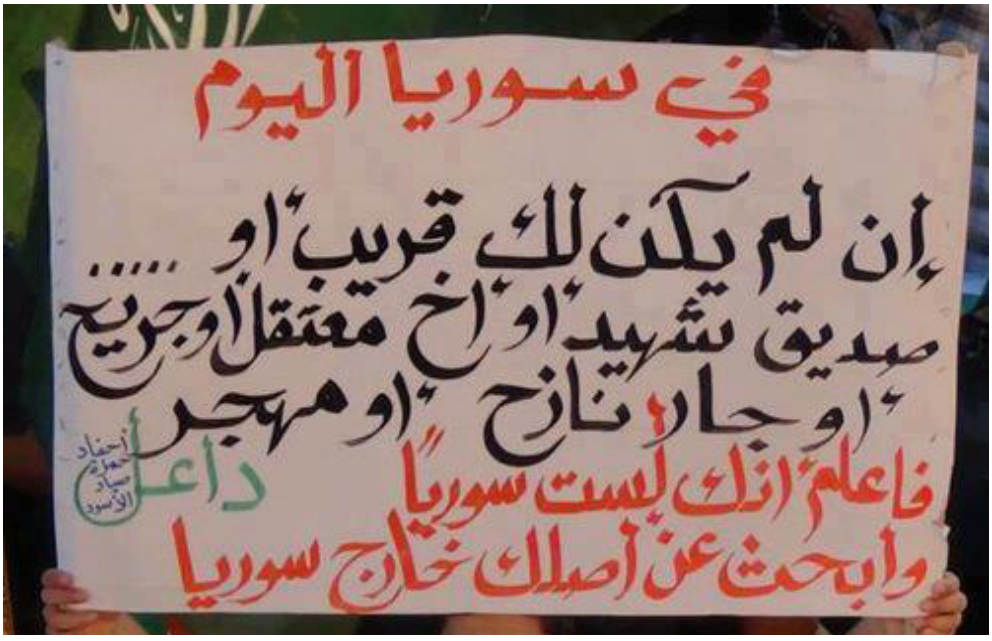

أهالي حلب يتوقعون الموت بأي لحظة

أحمد نور- حلب

الطائرات المقاتلة تجوب الأجواء طوال النهار، والمروحيات تحلق على ارتفاع منخفض قادمة من مطار حلب العسكري. ومع غروب الشمس، يحين موعد هطول القذائف من مدرسة المدفعية في شمال المدينة، أما أعمدة الدخان الأسود فهو أمر متوقع رؤيته في أي لحظة.

هذا هو حال مدينة حلب، ثاني المدن السورية أهمية، والتي يؤكد الجيش الحر أنه سيطر على 70٪ من أراضيها، حيث يصر النظام على قصف جميع الأحياء التي خرجت عن سيطرته، ليستيقظ الأهالي صباح كل يوم على أنباء المباني التي دمرت وعدد الذين قتلوا تحت ركامها.

قصف عشوائي

توجهنا صباح الخميس إلى حي طريق الباب الذي ينتشر فيه عناصر الجيش الحر، حيث سقطت قذيفة قبل يوم على مبنى سكني لتدمر طابقيه العُلويين، بينما لا يزال السكان يسعون لالتقاط أي مؤشر على الحياة من تحت الأنقاض.

طالبنا البعض بالتوجه إلى زقاق مجاور لتوثيق مأساة أخرى، فنجد أنفسنا أمام مبنى تمت تسويته بالأرض، وما إن يرى السكان كاميرا الصحافة حتى ينفجروا غضباً.

يحاول أحدهم تمزيق ثيابه من الغضب، ويصرخ آخر ليحمّل العالم كله مسؤولية مقتل الأطفال والنساء تحت أنقاض منازلهم، ويتساءل شيخ مسن "أليس هذا ما تريده أميركا وإسرائيل لشعبنا؟".

يحاول بعض الجيران تهدئتهم، ويتشاجر الطرفان في جدال ساخن حول دور الإعلام في نقل ما يحدث، بينما يصر البعض على أن العالم يعرف الحقيقة لكنه لا يكترث.

وتزداد سخونة الأجواء مع ارتفاع دوي الطائرات التي تحلق فوق المكان، ليصرخ بعض الشباب كل حين بضرورة التفرق كي لا يغري تجمعنا قائد الطائرة بإلقاء قنابله وقتل أكبر عدد ممكن من البشر.

تحت الأنقاض

نتوجه إلى حي الصاخور لاستطلاع موقع تم قصفه قبل أربعة أيام، ويكشف لنا أحد الأهالي عن جثة رجل ما زال عالقا تحت الأنقاض، ليتصادف وجودنا مع قدوم فريق من الجيش الحر لانتشاله.

ويحدثنا أبو محمد عن سقوط صاروخ على الدور الأرضي من المبنى الفخم، حيث انفجر الدور كلة وانهارت أرضيته على القبو، بينما لا يزال المبنى قائما.

ويضيف في حديثه أن الصاروخ استهدف الموقع حيث كان يقيم فيه عناصر من الجيش الحر، ويقول "لقد انتشلنا أربعين جثة في اليوم الأول، وما زال هناك أربعة على الأقل مفقودين".

ولدى سؤالنا عن تسبب وجود الجيش الحر في المنطقة بمقتل المدنيين، يقول شاب آخر إن قوات النظام لا تستهدف هؤلاء المنشقين فحسب، فالقصف بات عشوائيا في كل الأيام وعلى مدار الساعة.

وقد يؤكد هذا الرأي ما رأيناه في حي مساكن هنانو المجاور، حيث أسقطت قذيفة مبنى كاملا من أربعة طوابق وأحالته إلى ركام.

وبعد خمسة أيام من الحفر بين الحديد وكتل الإسمنت، أوقف السكان عمليات البحث عن أربعة مفقودين نصفهم من الأطفال، لعدم توفر المعدات الكافية.

سيمبا.. آخر أمراء دولة البعث

تحقيق في الصور التي يصدرها الجيش الالكتروني السوري ويقوم بنشرها على موقع التواصل الاجتماعي لدعم بروباغندا النظام الاسدي.

غالية السراقبي (فاوندلاند)

بدعوة من مؤسسة امباكت Impakt للفنون الميديا الحديثة، قامت مؤسسة فاوندلاند Foundland للبحث والتصميم الفني بمشاركة بمعرض Present للفنون، في مدينه اوتيرخت Utrecht الهولندية.

وتضمن المعرض أعمالاً فنية تحمل طابعاً ناقداً وتحليلياً لمشاكل اجتماعية أو سياسية راهنة.

وفي نطاق هذا المعرض قامت مؤسسة فاونلاند (لورين الكسندر وغالية السراقبي) بتقديم إصدارها وفلمها الفني الأخير: سيمبا، آخر أمراء دولة البعث.

وقدمت مؤسسة فاوندلاند هذا الإصدار على هامش التحقيق المستمر في صور البروباغندا الرقمية (الديجبتال) التي اختلقها النظام السوري من خلال مؤيديه والجيش السوري الالكتروني، والتي تم نشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، وبالأخص موقع الفيس بوك. إذ تم بحث وكتابة وتصميم هذا الإصدار بهدف تجميع وتحليل استخدام هذه الصور الرقمية (الديجيتال) المفبركة، والبحث عن مصدرها الأم ومحاولة تحليل أساليب البروباغندا المبتكرة، ودراسة كل من شخصية الأشخاص المصممة والمفبركة لهذه المادة البصرية والمؤمنة لحد الهوس بإيديولوجية النظام وماهية الأسطورة الكاذبة التي يحاول هذا المصمم خلقها من خلال هذه الصور.

كما يشمل هذا البحث رؤية عن دور مواقع التواصل الاجتماعي في الثورة السورية، وتحول هذه المواقع إلى مساحة ذات مواصفات إيجابية متعددة، على الرغم من النقد المتواصل حول سلبيات استخدامها، لانعدام أمنها ولصعوبة التحقق من صحة ومصدر المعلومات المنشورة. إلا أنه لا يمكن نكران أن هذه المواقع هي جزء لا يمكن تجاهله من المعركة الإعلامية بين كل من المعارضين والمؤيدين. فهذه المواقع باتت ليس فقط مكاناً للتعبير السياسي والتواصل وخلق أفكار وطرق جديدة لدعم الحراك على الأرض، بل هي مكان لحفظ الشواهد ومنصة لنشر ما يتم تجاهله من قبل وسائل الإعلام التقليدية ومحطات البث التلفزيوني.

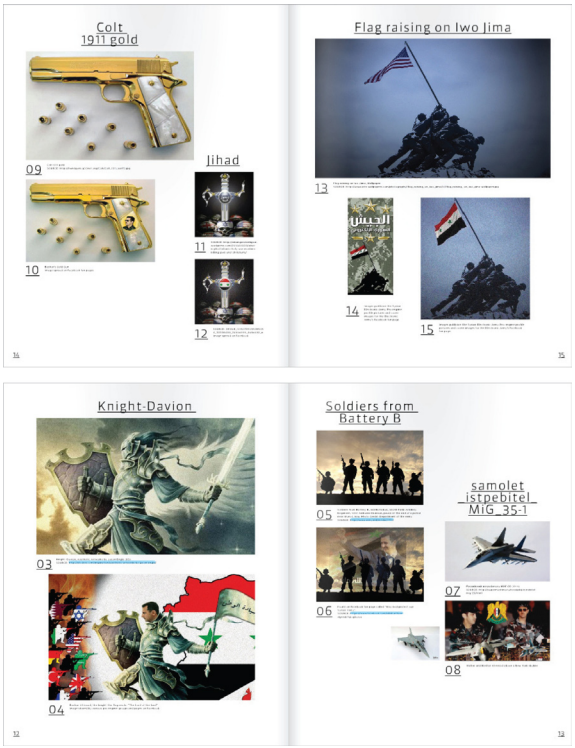

أعمال تطوعية لنجدة فقراء حلب

بدون مساعدة خارجية وبقليل من المال الذي يجمعونه، ينظم عدد قليل من المتطوعين في أحد أحياء حلب توزيع مواد غذائية لعائلات يمنعها الفقر من مغادرة المدينة الواقعة شمالي سوريا والتي تشهد معارك بين الجيش السوري الحر والجيش النظامي منذ ثمانية أسابيع.

ويقول أبو أحمد -وهو موظف سوري في الثامنة والعشرين من عمره، لم يشأ كشف اسمه الكامل- بابتسامة حزينة، "لدي فقط القليل من المواد الغذائية لألفي أسرة". في وقت تضم لوائح أبو أحمد خمسة آلاف عائلة.

ويروي الشاب المتقد النظرات والحركة قائلاً إن "الجيش السوري الحر (المؤلف من منشقين ومدنيين حملوا السلاح ضد النظام) يرافقنا أثناء عمليات التوزيع لضمان الأمن، لكنه لا يقدم المواد الغذائية".

وأضاف "بالنسبة للنظام نحن إرهابيون لأننا نساعد سكان المناطق المتمردة".

التمويل

وفي أكياس بلاستيكية شفافة توضع زجاجات زيت الزيتون وزيت الطبخ وأكياس الأرز والمعكرونة والشاي والسكر. ويشتري أبو أحمد هذه المنتجات الأساسية بالأموال التي تأتي من أفراد عائلات ثرية من حلب وغيرها.

ويوضح أبو أحمد "نحن لا نتلقى شيئاً من أي منظمة غير حكومية، سورية أو أجنبية". وأضاف قائلاً "إن سعوديا جاء لرؤيتنا قبل أسبوعين. ووعد بمساعدتنا وإرسال المال لنا. ونحن ننتظر".

وحتى وإن كانت المناطق التي يسيطر عليها المتمردون في حلب لا تزال تتلقى التموين خصوصا عبر الطريق المؤدية إلى مدينة الباب المجاورة، فإن أسعار السلع ارتفعت بشكل كبير لتصبح عصية على الفقراء.

معاناة

وعلى باب أبو أحمد تقرع امرأة محجبة بشكل خجول. وتبدو فاطمة -وهي في السابعة والثلاثين- أكبر بعشرين سنة بوجهها المنقبض. وقالت "أبحث عن حليب لطفلي، لكن لم أجده في أي مكان"، مضيفة "إن ابني عمره ثلاثة أشهر وليس لدي سوى الشاي لإطعامه مع كسرات من البسكويت المبلول...".

ولم يستطع أبو أحمد وأصدقاؤه الحصول على حليب الأطفال ولا يعلمون أين يجدونه. وقالت فاطمة "إنني بحاجة أيضا لكرسي نقال لوالدتي، فقد طلبناه وربما يصل الأسبوع المقبل".

في الأثناء كانت نساء أخريات يتوافدن في جماعات على المكان، بينما يطلب منهن أبو أحمد قائلاً: يجب تسجيل أسمائكن أولاً، ولذلك عليكن الانتظار حتى يأتي أحد إلى منازلكن".

وأعاد أبو أحمد إحصاء الأسر الأكثر فقراً في الحي لتبدأ جولة توزيع المساعدات. لذلك تم تحميل الأكياس بشاحنة فيما فتح مسلحان معارضان الطريق.

وفي أحد الأزقة -وفي غياب ترقيم للمنازل- يسأل المتطوعون لمعرفة مكان سكن الذين ترد أسماؤهم على اللوائح لتلقي المساعدة. ويقرع الشاب بقلمه على الأبواب المعدنية التي تنفتح قليلاً أمامه، حيث ينظر الأطفال بذهول.

في الأثناء يطرق أبو احمد على باب آخر لتفتحه سيدة. وفي غضون ثوان ارتفع صوتها لتقول "لا أريد غذاءكم". وتصرخ وهي تشير إلى السماء "إنه خطؤكم. فلعنة الله عليكم". وحاول أبو أحمد إعطاءها الرزمة، لكنها أدارت ظهرها، بينما شدها ابنها إلى الداخل.

أما أبو عبده (33 عاماً) -الذي كان عاملاً قبل بدء المعارك في حلب، وكان يكسب ما يوازي ستة يوروهات في اليوم- فيقول "لا أعمل منذ شهرين، ولا نأكل سوى الخبز والشاي". ولا يخفي أبو عبده ابتسامته وهو يتلقى كيساً بلاستيكياً، الأول الذي يتلقونه منذ بدء الاشتباكات في حلب في 20 يوليو/تموز.

في غضون ذلك كانت الطائرات المطاردة تحلق في السماء وهي تلقي قنابلها على المدينة فيما نيران رشاشات المروحيات القتالية تدوي في مكان بعيد.

وفي هذا الحي الفقير، خلافاً لأحياء أخرى ميسورة، ما زالت الأسر موجودة في منازلها الموصدة. فهي لا تملك سيارة ولا مالا للهرب من القنابل والرصاص في الشمال في المنطقة القريبة من الحدود التركية والتي يسيطر عليها الجيش السوري الحر.

أطفال سوريا.. أطفال الحرية

■ ياسر مرزوق

وصف الفيلسوف الماركسي "سلافوي جيجك" الانتفاضات الشعبية التي تشهدها المنطقة العربية بالمعجزة، والوصف دقيق مادامت الحالة التي يتحدث عنها ينطبق عليها التعريف المألوف للمعجزة، بما هي حدث خارق لم يتنبأ بحدوثه أحد والمعجزة السورية ضد الاستبداد والقهر والقمع، توهجت مع حادثة اعتقال أطفال درعا ليرسموا طريقها بأصابعهم الغضة القادمة من الجنوب، هؤلاء الأطفال هم من أعلنوا بداية الثورة، وهم من يتقاسم مع جميع السوريين فاتورة الحرية لينامو وأرواحهم مهددة بالموت، ويستيقظوا على صوت قذيفة تدمر البيت أو تأخذ معها أحد أفراد الأسرة أو البيت كله، كيف سينشأ هؤلاء وكيف سيكتبون أمنياتهم؟ هل ستعرف الأحلام طريقها إلى قلوبهم؟ ما لون أمنيات أطفال الحرب؟ ماذا سيقول الأطفال واليتامى في سوريا ضحايا الحرب العنيفة الطويلة المتواصلة..

الأطفال الذين أخبرنا "كويلهو" عنهم في مكتوب، والمتكررة في التراث المسيحي بصيغ مختلفة، يوم نزلت العذراء، حاملة يسوع بين ذراعيها إلى الأرض لزيارة دير، وقف الرهبان، شديدي الفخر، صفا لتكريمها، ألقى أحدهم القصائد، أخرج لها آخر كتاباً مقدساً مزخرفاً، وعدد آخر أمامها أسماء القديسين، في آخر الصف وقف طفلٌ صغير، دخل الرهبنة حديثاً، لم تتح له فرصة الدراسة مع حكماء زمانه، كان أبواه من البسطاء العاملين في السيرك، عندما حان دوره أراد الآخرون إنهاء مظاهر التكريم خوفاً على سمعة الدير، لكنه أراد أيضاً إظهار حبه للعذراء، فأخرج من جيبه، محرجاً، بضع برتقالات، وأخذ يرمي بها في الجو ويلتقطها مثلما علمه أبواه. عندها فقط ضحك يسوع، وصفق بيديه فرحاً، مدت العذراء يديها إلى الراهب الصغير وعهدت إليه بطفلها لبعض الوقت.

الطفل يسوع هو من برأ أمه من الإفك، وهو نفسه من ابتهج لرؤية طفل آخر لا يمتلك إلا الصدق والإنسانية بفطرتها وأروع تجلياتها.

في يومياتنا السورية، نرى كل يوم ألف صورة تدعو إلى التجهم، وألف إصبع تدل على الألم، وشبح الشقاء، كالجزار العتيق، ما رأى إنسانا إلا وتلمظت السكين في يده. لكن الشقاء يبدو مضاعفاً، إذا حوت الصورة "أحمد مظلوم، 13 سنة، عصام فرج، أحمد محمد عواد، محمود عز الدين، مالك منير قداح، مروة حسن شكدو 4 سنوات قتلت من قبل قوات الأمن بسبب تحركها أثناء تفتيش منزل عائلتها، وهاجر تيسير الخطيب 10 سنوات التي استشهدت عندما أطلقت قوات الأمن النار على حافلة مدرستها مدرسة الوفد، وزهير عبد الله عواد العمر من نمر في محافظة درعا قتل من قبل قوات الأمن، حسام طه 17 سنة المسيفرة درعا استشهد بإطلاق النار على صدره بعد أن عذب بعنف، محمد البقاعي 15 سنة حمص "وحيد لعائلته" استشهد، فؤاد فروخ 15 سنة من ذوي الاحتياجات الخاصة درعا الحارة استشهد على يد قوات الأمن، تمام المطلق 13 سنة درعا داعل استشهد أثناء ذهابه لشراء بعض الخبز من قبل دبابة قامت بإطلاق النار عليه، عبد الله الغنطاوي 12 سنة حمص بابا عمرو أطلقت النار عليه من قبل قوات الأمن، باسل ترك 17 سنة اللاذقية الرمل الفلسطيني استشهد على يد قوات الأمن، محمد علي كسندر اللاذقية، رهف عبد الجليل بطيخة 14 سنة استشهدت من قبل القناصة عندما كانت داخل منزلها، صالح أحمد الخطيب 14 سنة درعا صيدا تعذيب حتى الموت، محمود القادري 12 سنة أطلق النار عليه أربع مرات من قبل قوات الأمن أثناء محاولته لشراء الخبز، منال الأغا جبلة، إسراء يونس 7 سنوات برزة دمشق استشهدت على يد القناصة، صالح بشير علوي سنة واحدة مات بسبب الغاز المسيل للدموع، مصطفى عبد الله أبا زيد 17 سنة اللاذقية بستان السمكة طعن من قبل الشبيحة، ابتسام محمد قاسم المسالمة 11 سنة درعا استشهدت بنيران الشرطة عندما كانت على شرفة منزلها، أحمد رضوان 15 سنة بانياس وجد في حقل حيث أصيب بطلقتين في جسده بعد اقتحام المدينة.. والقائمة التي بدأها حمزة الخطيب في درعا تطول.. لتتصاعد الصور الموجعة، لكن الزمان كفيل بتجاوزها ونسيانها.. أما ما لا نشاهده ولا يمحوه الزمن فهو الأثر النفسي الذي ستتركه هذه الحرب بداخل من عاصرها وعاش الرعب والقلق وفقد عزيزا أو قريباً أو منزلاً يستظل بظله ليجد نفسه في العراء.

إنه لمن المؤكد أن احتياجات الأطفال تختلف جوهرياً عن تلك الخاصة بالنساء أو الرجال أو المسنين. لكن في زمن الحرب يعد الأطفال بمثابة نسخة مصغرة عن الكبار. ليكونوا شهود عيان لا حول لهم على ما يتعرض له ذووهم وغيرهم من أفراد عائلاتهم من فظاعات، ذلك ما لم يتعرضوا هم أنفسهم للقتل والتشويه والسجن والفصل عن عائلاتهم. وحتى الناجون منهم من الموت يجهلون ما سوف يكون عليه مستقبلهم ومستقبل أعزاءهم. إنهم مجبرون على الفرار، متروكون لمواجهة مصيرهم وحدهم، بلا هوية ففي الحرب لا يجدون مجتمعاً أو بيئة مستعدين لإيلائهم الصفة التي يستحقونها كأطفال: "رجال ونساء في حيز التكوين".

القانون الدولي الإنساني: الحماية العامة والحماية الخاصة:

أودت الصراعات المسلحة بحياة ما يزيد على مليوني طفل في العقد المنصرم وحده بينما تعرض ستة ملايين آخرين لإصابات أو إعاقات مدى الحياة. وأصبح مليون طفل أيضاً في عداد اليتامى. وتشير الإحصائيات الحالية إلى أن أكثر من 300000 طفل قد جُندوا في الميليشيات والجيوش وأجبروا على حمل السلاح والى أن نصف ضحاياهم هم من الأطفال. في هذا الإطار، ومن أجل توفير أنجع حماية ممكنة لكافة ضحايا الحرب، سواء تعلق الأمر بنزاع مسلح دولي أو غير دولي، فإن القانون الدولي الإنساني لا يميز أي فئة من الأفراد على حساب غيرها من الفئات. ومن حيث كونهم أفرادا لا يشاركون مباشرة في الأعمال العدائية يحظى الأطفال بحماية عامة تمنحهم ضمانات أساسية. ومثلهم في ذلك مثل كافة المدنيين الآخرين فإنهم يتمتعون بالحق في احترام حياتهم وسلامتهم البدنية والمعنوية. وتُحْظر أعمال الإكراه والإيذاء البدني والتعذيب والعقوبات الجماعية والاقتصاص إزاء الأطفال أو إزاء غيرهم من المدنيين.

وقد ميز القانون الدولي بين "طفل" و"بالغ". والهدف كما هو واضح تحديد إلى أي عُمر يمكن أن يتمتع الفرد بخاصية الحماية الخاصة التي يحصل عليها الطفل.

تنص المادة 1 من اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة بتاريخ 1989/11/20 ووافقت عليها معظم دول العالم على ما يلي:

"لأغراض هذه الاتفاقية، يعني الطفل كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ من الرشد قبل ذلك بموجب القانون المطبق عليه". وحسب القانون السوري فإن نفس التعريف ينطبق، أي أن سن الرشد هو 18 سنة، وما دون ذلك يعتبر الشخص طفلاً.

ومن الجدير ملاحظة أن سناً أقل قد اعتمد في حالة المشاركة في النزاع المسلح، وبخصوص ذلك نصت اتفاقية حقوق الطفل في المادة 38 على ما يلي:

* تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير الممكنة عملياً لكي تضمن ألا يشترك الأشخاص الذين لم تبلغ سنهم خمس عشرة سنة اشتراكا مباشراً في الحرب.

* تمتنع الدول الأطراف عن تجنيد أي شخص لم تبلغ سنه خمس عشرة سنة في قواتها المسلحة..

كما أن البروتوكولات الملحقة باتفاقية جنيف الرابعة لسنة 1949 وبالتحديد "البروتوكول الأول مادة 2/77، والبروتوكول الثاني مادة 3/4/ج" تحدد سن الطفل حتى 15 سنة، وحسب هذه النصوص فإن الأطفال ما بين سن 15 – 18 سنة يمكنهم أن يشاركوا في أعمال مسلحة كمتحاربين وبالتالي يفقدوا الحماية التي تعطى للأطفال "المدنيين صغار

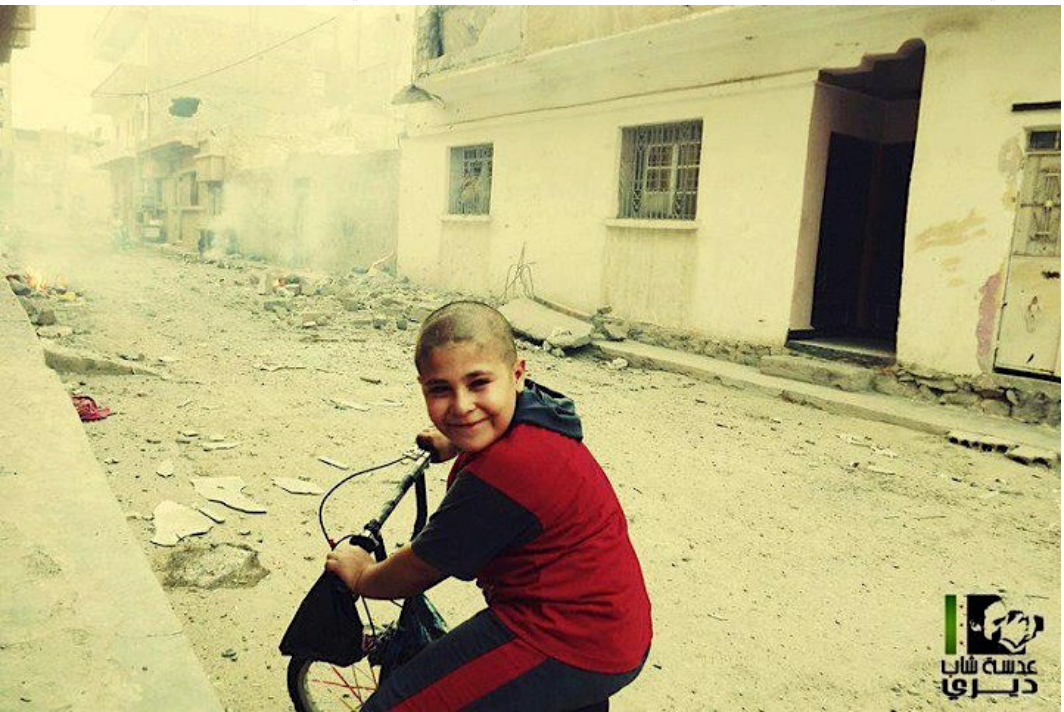

السن". وهناك بروتوكولاً إضافياً اختيارياً ملحقاً باتفاقية حقوق الطفل ينص على:

"على الدول الأطراف اتخاذ كل التدابير اللازمة لضمان أن لا يُشارك من هم دون 18 سنة من أفراد قواتها المسلحة بأعمال عسكرية بشكل مباشر" (المادة 1).

وأيضاً: "على الدول الأطراف أن تتأكد أن لا يتم إجبار أي فرد لم يتجاوز عمره 18 سنة على الانضمام إلى قواتها المسلحة" (المادة 2).

مما سبق، يتضح أنه من المستبعد "جداً" أن يتم تصنيف الأطفال الفلسطينيين في سن 15 – 18 سنة الذين قتلوا في أحداث الثورة السورية على أنهم "محاربين". أولاً لأن طبيعة المواجهات هي عبارة عن انتفاضة مدنية ضد جيش نظامي أي أن جيشاً يواجه سكان مدنيين وليس نزاعاً بين جيشين مسلحين. ولا يمكن بالطبع أن نقول أنه يتم تجنيد الأطفال رغما عنهم كي يشاركوا في المواجهات، ولا يمكن كذلك أن نقول أن مشاركة الأطفال في المظاهرات كانت تشكل تهديداً خطيراً للجيش السوري. إضافة إلى ذلك، كثير من الأطفال الذين قتلوا أو أصيبوا لم يكونوا مشاركين أصلاً في أية أحداث.

لقد تم منح الأطفال حماية خاصة في أوقات النزاع المسلح، كما جاء في نصوص اتفاقية حقوق الطفل لسنة 1989. وخاصة ما جاء في المادة 38، التي تعالج وضع النزاع المسلح، وكان من ضمن نصها كما يلي:

1) تتعهد الدول الأطراف بأن تحترم قواعد القانون الإنساني الدولي المنطبقة عليها في المنازعات المسلحة وذات الصلة بالطفل وأن تضمن احترام هذه القواعد.

2) تتخذ الدول الأطراف، وفقاً لالتزاماتها بمقتضى القانون الإنساني الدولي بحماية السكان المدنيين في المنازعات المسلحة، جميع التدابير الممكنة عملياً تضممن حماية ورعاية الأطفال المتأثرين بنزاع مسلح.

ويكفل القانون الدولي الإنساني كذلك حماية خاصة للأطفال من حيث كونهم أشخاصاً بالغي التعرض للخطر. وتُعنى أكثر من 25 مادة في اتفاقيات جنيف الأربع وبروتوكوليها الإضافيين بالأطفال تحديداً. إلا أن القانون لا يكفل الحماية إلا بقدر احترامه وتطبيقه. وحينما لا تعتمد الحكومات تدابير منع الانتهاكات وتتولى نشر القانون الدولي الإنساني على نطاق واسع بل تكون هي من يخرق هذا القانون تفقد النصوص معناها.

ومن أهم المشاكل التي يتعرض لها الأطفال خلال الحروب:

- سوء التغذية في المناطق الفقيرة، المرض، التشرد، اليتم والفواجع، المشاهد العنيفة، الإرغام على ارتكاب أعمال عنف، الاضطراب في التربية والتعليم، وقد يصاحب هذه الحالات نوع من الفوبيا المزمنة من الأحداث أو الأشخاص أو الأشياء التي ترافق وجودها مع وقوع الحدث مثل الجنود، صفارات الإنذار، الأصوات المرتفعة، الطائرات.. وفي بعض الأحيان يعبر الطفل عن خوفه بالبكاء أو العنف أو الغضب والصراخ أو الانزواء في حالة من الاكتئاب الشديد..

إلى جانب الأعراض المرضية مثل الصداع، المغص، صعوبة في التنفس، التقيؤ، التبول اللاإرادي، انعدام الشهية للطعام، قلة النوم، الكوابيس، آلام وهمية في حال مشاهدته لأشخاص يتألمون أو يتعرضون للتعذيب، وفي حال مشاهدة الطفل لحالات وفاة مروعة لأشخاص مقربين منه أو جثث مشوهة أو حالة عجز لدى مصادر القوة بالنسبة له مثل الأب والأم يصاب عندها بصدمة عصبية قد تؤثر على قدراته العقلية.

وتعتبر الصدمات التي يتعرض لها الطفل بفعل الإنسان أقسى مما قد يتعرض له من جراء الكوارث الطبيعية وأكثر رسوخاً بالذاكرة ويزداد الأمر صعوبة إذا تكررت هذه الصدمات لتتراكم في فترات متقاربة.. وتعيق الكشف عن هذه الحالات لدى الأطفال صعوبة تعبيرهم عن شعورهم أو الحالة النفسية التي يمرون بها بينما يختزلها العقل وتؤدي إلى مشاكل نفسية عميقة خاصة إذا لم يتمكن الأهل أو البيئة المحيطة بهم من احتواء هذه الحالات ومساعدة الطفل على تجاوزها.

وغالباً ما تظهر هذه المشاعر التي يختزنها الطفل أثناء اللعب أو الرسم فنلاحظ أنه يرسم مشاهد من الحرب كأشخاص يتقاتلون أو يتعرضون للموت والإصابات وأدوات عنيفة أو طائرات مقاتلة وقنابل ومنازل تحترق أو مخيمات ويميلون إلى اللعب بالمسدسات واقتناء السيارات والطائرات الحربية..

كما أن الطفل بحاجة ماسّة إلى الأمان الذي هو من شروط نموّه السويّ. هذا الأمان يؤمّنه له استقرار البيئة التي يعيش فيها. فإذا بالأحداث تحطم هذا الاستقرار وتقلب وجه عالم الطفل المألوف: إذا بالشارع الآمن يتحوّل إلى مسرح للقنص والخطف، والطرقات إلى مقابر، والجار إلى عدوّ، وإذا بالموت يربض في كل مكان ويتخذ أبشع الصور، وإذا بالبيت يتعرض لرشقات القنابل والصواريخ فيتحوّل رمز الأمان إلى مكان يهدّده الخطر في كل لحظة. كلّ ذلك يهدّد بزعزعة تلك الطمأنينة الأساسية التي عليها يبني الطفل شخصيته ومنها ينطلق لاكتشاف المجتمع والكون.

كما أنه يحتاج إلى مقاييس يقدّمها له مجتمعه كي تنضبط بموجبها غرائزه وتنطبع فيه قِيَم الحضارة الإنسانية. وإذا به يرى المقاييس تنقلب رأساً على عقب. لقد لُقِّن مبادئ المسالمة واحترام الغير وحسن المعاملة، وإذا به يرى مجتمع الراشدين يجنّ فجأة فيقدّم له صورة الاقتتال والتدمير والنهب والاغتيال والتعذيب. وكأن مجتمع الكبار ينقض فجأة ما حاول أن يزرعه في نفوس الصغار، ويثير فيها بسلوكه غريزة العدوان التي طالما اجتهد لردعها. الولد يحتاج إلى نماذج يتقمصها، من هنا شغفه بأبطال المجلات المصوّرة والأفلام. يُخشى بتأثير الأحداث أن يصبح البطل الجديد لدى الكثيرين من الأطفال ذلك المسلّح الذي يسحرهم فيه لا الدافع الذي حدا به إلى التسلّح بل مجرّد سلاحه المدمّر المدوّي الذي يتخذه شعور الطفل رمزاً لتأكيد الذات عدواني.

ملفنا اليوم هو التفاتةً للحاملين على ضعفهم، السر والكنز والمستقبل، الأطفال الذين باتوا يلعبون "جيش حر، شبيحة" بدلاً من "شرطة حرامية"، والذين يرددون أغاني القاشوش، رغماً عن الألم والجوع والحصار، هم الزهرة التي تنمو والطفل الذي يولد، والفكر الذي يبدع لتستمر الحياة وتنتصر..

نختم مع السياب، ومقطع من أيقونته "الأسلحة والأطفال"

عصافير أم صبية تمرح.. أم الماء من صخرة ينضح.. وأقدامها العارية.. مصابيح ملء الدجى تلمح.. هتكنا بها مكمن الطاغية.. وظلماء أو جاره البالية.. علينا لها أنها الباقية.. وأن الدواليب في كل عيد.. سترقى بها الريح جذلى تدور.. ونرقى بها من ظلام العصور.. إلى عالم كل ما فيه نور.. رصاص رصاص رصاص حديد.. حديد عتيق.. لكون جديد..

لمن تقـرع الأجـراس؟

■ خالد كنفاني

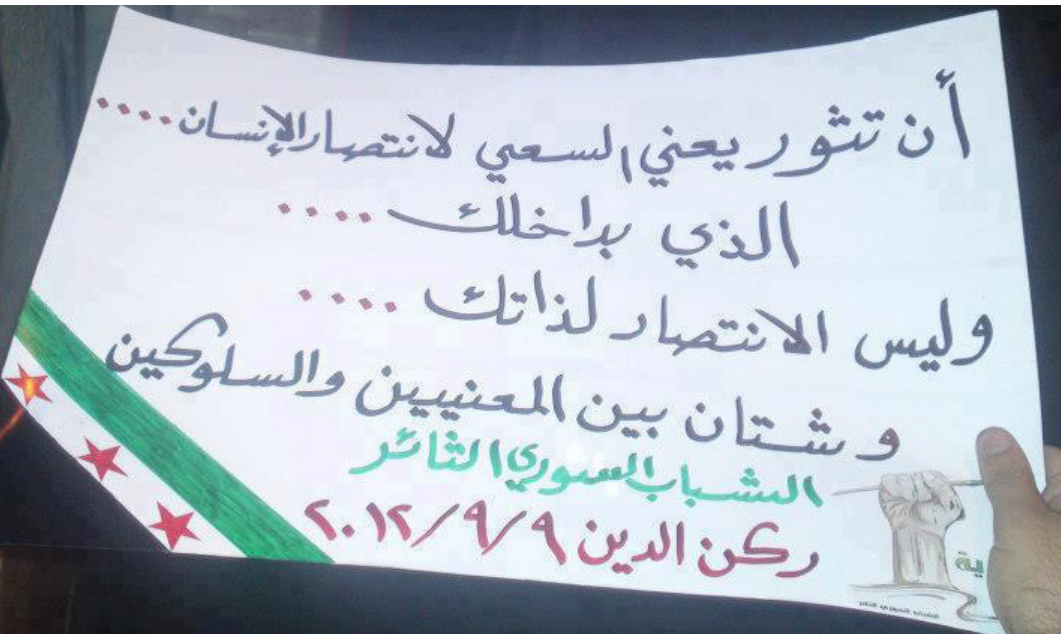

بينما نكتب هذه السطور، يصل إلى سوريا المبعوث الدولي والعربي للقضية أو الأزمة أو الصراع في سوريا على اختلاف المسميات والمصطلحات التي باتت جزءاً مهماً من "بيزنس" إعلامي مربح ومغر لكل هواة الصحافة والتصوير والإخراج في العالم.

ويعتبر الأخضر الإبراهيمي ثاني مبعوث دولي وربما عاشر مبعوث عربي يتم إيفاده لحل واحدة من أعقد قضايا الشرق الأوسط على ما يبدو. ونخشى على الإبراهيمي أو من سيليه من المبعوثين مصير الكونت برنادوت الذي اغتالته "جهة ما" أيام قرارات تقسيم فلسطين عام 1947. ويبدو أيضاً أن الاستثمار في المسألة السورية مجدٍ ماليا بالنسبة للكثيرين نظراً للعلاوات الكبيرة التي ينالونها ناهيك عن بدلات السفر وبدلات خطورة المهمة (وهي الأعلى في الحالة السورية) والتأمين على الحياة وعلى المهمات (حيث يتم البحث عن رفات المفقود لتأمين عودتها سالمة) ولهذا قد يبدو الحزن على محيا بعض أفراد بعثات المراقبين أو غيرهم من الموفدين إلى سوريا لأن في انتقالهم إلى مناطق أكثر أماناً يعني فقدانهم للكثير من الامتيازات.

ما الذي يمكن أن نتوقعه من الإبراهيمي غير ما توقعناه من سابقيه؟ ومع من سيتحاور الإبراهيمي؟ لن يجد في سوريا سوى الموتى ولن يرى سوى الدم. بلد يتم تدميره اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ونفسياً وجغرافياً. يعيش السوريون اليوم في جزر متباعدة تفصل بينها الكثير من الحواجز والسدود العسكرية والمسلحة بعدما كانت لا تفصل بينها سوى الحواجز النفسية. بطاقة التعريف وإثبات الأصل والانتماء هما عنوان نجاة إنسان أو موته. وهو ما يعتمد على المعايير المطبقة لدى كل حاجز وعلى المزاج العصبي لحامل البندقية كائناً من كان. لن يجد الإبراهيمي سوى بقايا وطن ممزق ربع أهله مشردون في الداخل ولاجئون في الخارج والربع الثاني إما معتقلون أو مهجرون أو مهاجرون، وربع يجمع الخائفين والحياديين والمنتظرين واللامبالين وربع أخير يضم المقاتلين من كل الأصناف والمتحمسين والشبيحة وغيرهم. لن يجد الإبراهيمي في أزقة وشوارع سوريا سوى الأسى وعلى وجوه أهلها سوى الحزن والغضب.

تفاجأت السيدة كلينتون أن يتم قتل السفير الأمريكي في بلد "ساعدنا نحن على تحريره"، ولعلها بالفعل لم تتوقع في أسوء كوابيسها أن يكون أهل ليبيا (وخاصة بنغازي) ناكرين للجميل إلى هذه الدرجة، وبغض النظر عن هوية منفذي الهجوم على السفارة الأمريكية فإن موجة جديدة من الاختناق والتنافر العالميين عموما وفي المنطقة العربية خصوصاً على وشك أن تبدأ فيما يبدو أنه بالفعل سايكس بيكو جديد بما يدشن مرحلة من الانقسامات تذكرنا بالموجة القومية التي اجتاحت البلدان الأوروبية الواقعة تحت سيطرة المعسكر الاشتراكي وكذلك بالموجات الانفصالية في أوروبا عموماً عقب الثورات في القرن الثامن عشر وما يليه. ونحن لا زلنا نأمل أن يكون كل ذلك في حساب العودة إلى الوحدة يوماً ما ولو بما يشابه النموذج الأوروبي نفسه، غير أن التاريخ يخبرنا أن ذلك المشوار لم يكن سهلا ومفروشاً بالورود، بل كان مليئاً بالتضحيات والأرواح البريئة التي أزهقت والمآسي الإنسانية التي عاشتها العائلات الأوروبية على اختلاف درجاتها.

لم يعلن الإبراهيمي عن أية خطة أو خارطة طريق، ولكنه بدأ بالحديث عن "طائف" سوري في اعتراف بأن الأمر في سوريا وصل إلى تصنيف الأطراف المتنازعة وليس ثورة ضد نظام غاشم. وهذا الانحراف في التعاريف وكذلك ظهور عشرات الفرق والكتائب المسلحة ومجالس الشورى والمجالس العسكرية كل ذلك أصبح يضيق المسار باتجاهٍ واحد وهو اعتبار المسألة في سوريا صراعاً بين أطراف وعلى هذا الأساس فالحل يعتمد على تقاسم هذه الأطراف لهذا البلد. ويغدي هذه المسألة حقيقة هامة مفادها أن كل حاملي السلاح اليوم في سوريا ومن ضمنهم قوات النظام يتبعون ويتلقون الدعم من جهة ما، فالنظام الذي تدعمه روسيا وإيران صراحة والصين والكثير من بلاد العالم خفية بينما يتم دعم بقية الفرق العسكرية والكتائب المسلحة من قبل جهات ودول مختلفة حتى أنها لا تلتقي لا على مستوى التفكير ولا على مستوى الاستراتيجية وهي وإن كانت تظهر أنها تحارب ضد النظام غير أن في تكتيكها أهدافاً أخرى بعيدة قد لا يعلم معظم المقاتلين على الأرض ماهيتها. فالمحاربون كانوا دوماً أدوات تنفيذ السياسات الكبرى والتخطيط بعيد المدى وهو ما أثبته التاريخ ولا يزال ولهذا فإننا لا نشكك في نوايا الثائرين أو حاملي السلاح ولكننا ننظر بعين الريبة إلى من يدعمهم من بعيد دون حسم كامل للمسألة. وهكذا خلق وضع جديد غابت فيه السياسة تماماً مثلما كانت غائبة لقرون طويلة وعاد الحل بيد العسكر من جديد سواء كان هذا العسكر جيشاً حراً أو قوات من الناتو أو مرتزقة من الباكستان واليمن وليبيا أو شبيحة النظام. كلهم يبحثون عن الحل بطريقتهم والدم سيبقى عنوان المرحلة وربما المراحل القادمة.

يعلم الأخضر الإبراهيمي أن مهمته شبه مستحيلة في بلد يتم التحذير من "بلقنته" ومن "أفغنته" ومن "لبننته" وأخيراً من "صوملته"، فقد كثرت النماذج والمراجع في هذه المنطقة من العالم، ويبدو أن التوجه العام اليوم هو بالفعل إلى اختيار إحدى تلك المراجع وتوليف تركيبة جديدة ربما تكون "سورنة" ليتم إضافتها إلى قائمة المصطلحات السياسية التي يتم تدريسها في معظم جامعات العالم. يعلم الإبراهيمي أنه لا يوجد أصلاً أي عامل من عوامل الحل السياسي، فعلى عكس الحالتين اللبنانية والأفغانية فإن الأطراف المتصارعة في سوريا غير معلومة القيادة أو التمثيل أو حتى الولاء كما أن غياب السياسيين والمثقفين والمفكرين عن الساحة السورية بشكل شبه تام يضفي طابعاً من الفوضى على ما يجري في هذا البلد. ونعود للتأكيد على أن المسألة ليست تقليلاً من شأن ما يقوم به الكثير من المقاتلين الذين دفعتهم الظروف إلى حمل السلاح، ولكن ضعف الخبرة وقصور التخطيط بعيد المدى وترك الناس لمصائرهم المجهولة دون أية استراتيجية هو دفع باتجاه حروب أهلية وفوضوية قد تدخل البلد في دوامة جديدة تضاف إلى دواماتها السابقة.

قلنا أنه من الواضح أن المؤامرة على الشعب السوري باتت فعلاً كبيرة، ويزيد من التأكيد ذلك التضارب الصارخ في المواقف الدولية والعربية. فبينما تبدي الولايات المتحدة خلافاً (ظاهرياً) شديداً مع روسيا حول سوريا فإن كلينتون أكدت أنها تسعى لزيادة التبادل التجاري مع روسيا وترحب له، وبينما يصدح الرئيس المصري بخطابات رنانة لدعم السوريين تعبر البوارج الإيرانية قناة السويس وتتحدث إيران عن احتمال تصدير نفطها إلى مصر. لم يكن كل ذلك جديداً إلا على مجموعة من الفنانين والمثقفين والطارئين على المجتمع والسياسة والذين قرروا في غمرة هذا مشهد الدموي أن يقوموا بالإضراب عن الطعام في شتى أنحاء المعمورة ناسين حقيقة هامة وهي أن من لم يعبأ بمقتل وتشريد واعتقال أكثر من ثلاثة ملايين إنسان لن يلتفت إلى بعض الجميلات اللواتي اعتصمن أمام الجامعة العربية (حتى اختيار المكان كان خاطئاً) وقد أضربن عن الطعام. كانت المفارقة صارخة جداً وكأننا نصرّ على أن لا نفهم بعد شهور طويلة من القتل والدم والنفاق العربي والعالمي وبعد عقود من هذا النفاق تمثل فيمن سبقنا سواء في فلسطين أو العراق وغيرها.

هذه مرحلة انتقالية في تاريخ هذا الوطن واجتيازها لن يكون بالأمر السهل أو العابر، فالتغيير كان على الدوام مرفوضاً ومكروهاً وغير مرحب به، ولكن حركة التاريخ لا تقف عند هذا البلد أو ذاك، وعلينا أن نعيش المرحلة الانتقالية بكل أبعادها ومساوئها وهو ما قلناه سابقاً من أن نتائج أحداث اليوم قد يراها أحفادنا ولكن ليس قبل ذلك، وهذا ليس يأساً ولا إحباطاً ولكنه التاريخ. أما مقارنة ما جرى في مصر وتونس فهو مقارنة غير موضوعية لأن هذين البلدين يمران أيضاً بمراحل عصيبة كما أن التغيير أيضاً ليس ولن يكون سهلاً هناك نظراً لصعود قوى سياسية جديدة واختفاء أخرى قديمة وغير ذلك من العوامل التي ستجعل من مسألة الاستقرار أمراً بعيد المنال في الوقت الراهن وعلى هذا الجيل والذي سيليه (على الأقل) أن يدفعا ثمن التغيير وهو ثمن لا بد منه لأن التغيير لن يكون مجرد إزالة نظام سياسي وقدوم آخر، بل التغيير الحقيقي هو في طريقة تعاطي الشعب مع المسؤولين ومع الحكام، فالناس لم تعد تقبل بعد اليوم بأي طاغية مهما كان مركزه وعلى كل من يتصدون لمهام السياسة والإدارة اليوم أن يفهموا هذه الحقيقة تماماً. على الجميع أن لا يخدعوا أنفسهم بأن مجرد انشقاقهم أو وجودهم في صفوف الثوار يكفي لكي ينالوا مكانة راسخة ومركزاً لا يقبل فيه النقاش. وإذا اعتقد مناف طلاس أو رياض حجاب أو غيرهما أن هروبهما من النظام يعطيهما شرعية للعودة إلى مناصبهم على رؤوسنا من جديد فهم واهمون تماماً. وسيكون مفهوماً أن كل ما يجري الآن من محاولات لتلميع بعض الشخصيات إنما يتم على أسس طائفية وعشائرية تضمن لهم الولاء بعدما ضاع الوطن وفشلت كل أنظمة الحكم المتعاقبة بعد الاستقلال في بلورة هوية وطنية جامعة لكل السوريين، ومهما حدث كان بعض التوافقات هنا وهناك والكثير من حكم العسكر الذي قضى على أي حوار وطني جامع وتم الحديث عن الوحدة الوطنية ولكن بمسمى إرهابي هو "إثارة النعرات الطائفية" فتم تحريم الحديث عن الطائفية والمشاكل المجتمعية الأخرى منعاً "لوهن نفسية الأمة".

لن تكون السنوات القادمة في سوريا سهلة أبداً، ولعل القادم من الأيام سيحمل معه الكثير من المآسي والتضحيات وعلينا أن نفهم حقيقة دورنا ومكاننا في هذا المد الدموي القادم قبل أن نغرق وتغرق معنا كل قيمنا وأحلام ثورتنا.

آخر الكلام: يقول الشاعر:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً
ولكن لا حياة لمن تُنادي
ولو نارٌ نفختَ بها أضاءتْ
ولكن أنتَ تنفخُ في رَمَادِ

عبد الرحمن الكيالي 1887 - 1969

■ ياسر مرزوق

ولد عبد الرحمن الكيالي، عام 1887 في حلب. لآل الكيالي الأسرة الحلبية العريقة التي يرجع نسبها إلى العترة النبوية الشريفة. وكان أبا الهدى الصيادي قد وضع أكثر من كتاب فصل فيه أنساب آل الكيالي يقول: قبل تاريخ كتابتي لهذا الكتاب "بهجة الحضرتين" أعنى سنة 1323 هـ بـ 17 سنة في 1306 هـ كتبت كتاباً سميته نور الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار تكملة فيه على نسب السادة آل الكيالي – يعنى آل إسماعيل الكيال الكبير- فيه المتواترات المشهورة والخبر المنصوص المذكور.. إلخ.

وقد شغل آل الكيالي مناصب دينية مرموقة بما يزيد عن 200 سنة في تولي نقابة الأشراف والفتوى بإدلب، وسميت إدلب بعهد الشيخ السيد طاهر الكيالي الإدلبي نقيب أشراف إدلب بـ "الأزهر الصغير"، وفي حلب تبوء آل الكيالي المشيخة في زاويتين لأكثر من 200 سنة منها الزاوية الكيالية الجوادية في حلب – الجامع الأموي الكبير والزاوية الكيالية في حلب – باب الحديد، وفي تاريخ مدينة حلب المعاصر برز إلى جانب الدكتور عبد الرحمن الكيالي السيد سامي الكيالي صاحب مجلة "الحديث" الأديب الكبير الذي قارع المستعمر زهاء 30 عاماً، ومنهم الفنان التشكيلي العالمي لؤي الكيالي الجوادي الحلبي، ولقد كرمهم مجلس مدينة حلب بتسمية شارعين باسم هذه العائلة العريقة في جادة الخندق وفي حي المرديان ومدرستين في سوق الإنتاج وحي الشهباء.

بعد أن تلقى عبد الرحمن الكيالي علومه الابتدائية والثانوية في المدرسة السلطانية بحلب، انتقل إلى بيروت، حيث دخل كلية الطب بالجامعة الأميركية، وتخرج منها عام 1914. وإثر اندلاع الحرب العالمية الأولى، التحق بخدمة الجيش العثماني كطبيب مشرف على الشؤون الصحية للقطعة العسكرية المرابطة في مدينة "الحمراء" وتولى معها طبابة مستشفى حماة طيلة مدة الحرب الواقعة ما بين سني 1914 – 1918. ولما وضعت الحرب أوزارها عاد إلى مسقط رأسه في مدينة حلب، فعين رئيساً لأطباء المستشفى الوطني، كما انتخب نائباً عن حلب في المؤتمر الوطني المنعقد في عام 1920 في عهد الملك فيصل بن الحسين.

ولما قررت عصبة الأمم فرض الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان التحق بحركة المقاومة الوطنية ضد السلطات المنتدبة واشترك مع الزعيم إبراهيم هنانو وهاشم الأتاسي وسعد الله الجابري وشكري القوتلي وفارس الخوري في تأسيس الكتلة الوطنية.

وقد انتخب في عام 1928 نائباً عن حلب في المجلس التأسيسي الذي فاز فيه رجال الكتلة الوطنية وحصلوا على أكثرية المقاعد في مواجهة مرشحي السلطة المنتدبة وتمكنوا من وضع أول دستور للجمهورية السورية. بيد أن السلطة المنتدبة لم ترضى بهذه النتيجة، فقامت بحل المجلس التأسيسي وتعليق أحكام الدستور. ومن هنا عاد إلى متابعة النضال ضد الانتداب الفرنسي، فانتشرت حركة المقاومة الوطنية وعمت المظاهرات الصاخبة أرجاء البلاد كافة، وأعلن الإضراب العام لمدة ستين يوماً، فاضطرت السلطة المنتدبة إلى التفاوض، وتم توقيع المعاهدة مع الحكومة الفرنسية في عام 1936. ولما جرى انتخاب الرئيس هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية السورية وشكلت أول وزارة دستورية برئاسة المرحوم السيد جميل مردم، تولى الدكتور عبد الرحمن الكيالي مهام وزارتي العدل والمعارف، فقام بحركة واسعة لإصلاح القضاء السوري المستقل وتحرير النظام التعليمي من شوائب الحكم الفرنسي، وبادر إلى إيفاد البعثات الطلابية لتلقي الدراسات الجامعية في الخارج، فعاد الموفدون ليشكلوا النواة الأساسية للنهضة التربوية في البلاد.

عام 1943 بعد هزيمة فرنسا العسكرية في أوروبا ودخول جيوش الحلفاء إلى سورية ولبنان وإعلان استقلالهما، أجريت الانتخابات النيابية فجدد انتخابه نائباً عن حلب في المجلس النيابي، ثم اختير لتولي وزارة العدل في حكومة الجابري في العام نفسه، ثم وزارة العدل والشؤون العامة وشؤون الأوقاف في وزارة الخوري عام 1944 حتى عام 1945 حيث استقال من الوزارة وعاد إلى ممارسة مهنة الطب في حلب.

كما مثل الدكتور الكيالي مع السيد "رفيق عشي" سوريا في الجلسة العامة للجمعية العامة للأمم المتحدة، المخصصة لصياغة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في فرنسا عام 1948 وفي ذلك الوقت

قال: "لقد تقدمت الحضارة البشرية ببطء شديد في وسط قرون من الاضطهاد والتعسف والفوضى حتى جاء هذا الإعلان" مؤكداً على أن "الإعلان لم يكن من صنع بعض المندوبين في الجمعية العامة أو المجلس الاقتصادي والاجتماعي ولكنه جاء تعبيراً عن إنجاز حقيقي لأجيال متعاقبة من البشر الذين أفنوا حياتهم للوصول إلى هذه النتيجة. أما وإنه قد تم إقراره فإن شعوب العالم قد تعزز أملها بالأمم المتحدة".

بعد أن انفرط عقد الكتلة الوطنية التي كانت تضم مختلف عناصر المقاومة الوطنية للحكم الفرنسي، ورأى رجال السياسة لزوماً لتعددية الأحزاب في البلاد، نشأ حزبان سياسيان رئيسيان: أولهما الحزب الوطني الذي قام بتأسيسه فريق من رجال الكتلة الوطنية السابقين، وكان يمثل حزب الأكثرية ويتولى شؤون الحكم في سورية، وثانيهما حزب الشعب الذي قام بتأسيسه السيدان رشدي كيخيا وناظم القدسي، وكان يمثل المعارضة في المجلس النيابي. وقد تولى الدكتور عبد الرحمن الكيالي رئاسة الحزب الوطني في أوائل الخمسينات وظل محتفظاً برئاسته للحزب إلى أن تم إلغاء الأحزاب السياسية في سورية بقرار من الرئيس جمال عبد الناصر في عهد الوحدة بين مصر وسورية.

اعتزل بعدها العمل السياسي وتفرغ للكتابة، وقد ترك عدة مؤلفات قيمة، منها كتاب "رد الكتلة الوطنية على بيانات المفوض السامي الفرنسي أمام عصبة الأمم" وهو يتضمن نقداً موضوعياً لسياسة الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان، وكتاب "المراحل" الذي صدرت منه خمسة أجزاء تحتوي على تسجيل للوقائع والأحداث السياسية في تاريخ سورية الحديث ما بين سني 1918-1939، بالإضافة إلى أجزاء غير مطبوعة تتعلق بالفترة الواقعة ما بين سني 1939-1958، وله رسالة عن "الإمام جعفر الصادق" ودراسة عن "شريعة حمورابي" التي تعتبر أقدم الشرائع العالمية المكتوبة، وكتاب "الجهاد السياسي" الذي يستعرض فيه آراءه السياسية خلال فترة النضال الوطني في سورية، وله كتاب "أضواء وآراء" الذي صدر في جزئين ويتضمن خلاصة عن فكره السياسي وآراءه الشخصية في قضايا المجتمع العربي. وقد كان شغوفاً بالمطالعة والتأليف وأقتناء الكتب والمؤلفات في شتى العلوم والآداب، حتى اشتهرت مكتبته الخاصة بما تحويه من موسوعات علمية، ومؤلفات فلسفية وسياسية وأدبية، وكتب قيمة في مختلف المواضيع الفكرية. وقد ظل يعنى بكتابة مذكراته اليومية، كما انتخب رئيساً لجمعية العاديات بحلب كما كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

توفي الكيالي في 13 أيلول من عام 1969. وقد جرى تشييع جثمانه الطاهر في احتفال شعبي مهيب ونقلت رفاته إلى جانب أضرحة أجداده من آل الكيالي في مقبرة الصالحين بحلب.

الطاغية ابن الطاغية

■ أسعد أبو خليل

هذا النص هو المقال الأسبوعي للكاتب، والذي امتنعت عن نشره جريدة الأخبار اللبنانية

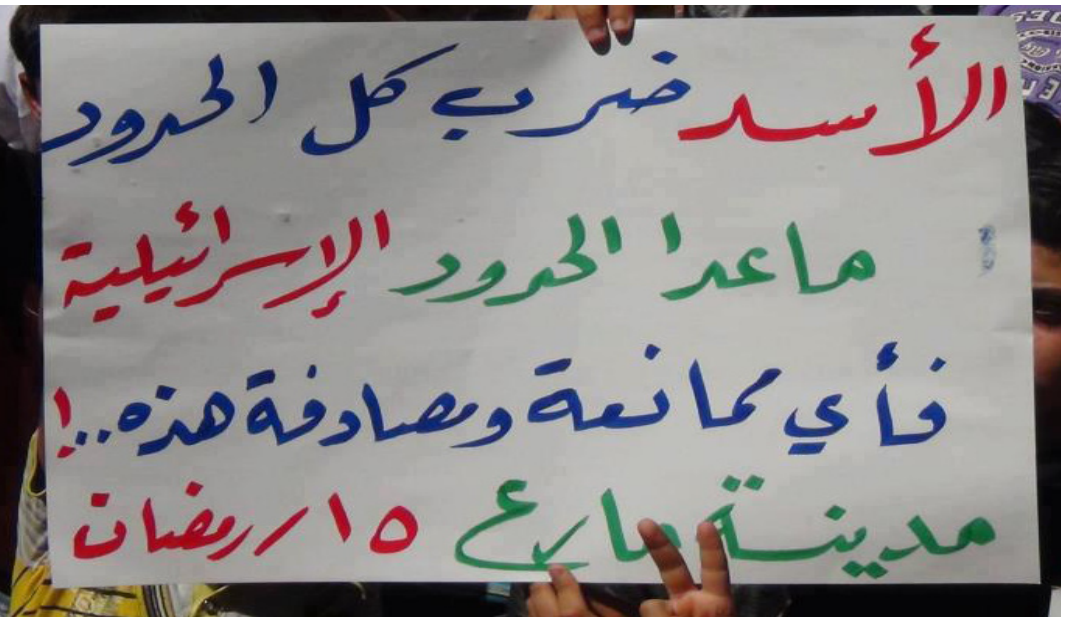

يجثم فوق صدور العرب طغاة، ويجثم فوق صدورهم أبناء الطغاة. الطغاة يولدون، لكن ليس إلى ما لا نهاية. الإنتفاضات العربيّة - إن دلت على شيء - دلّت على أن أجل الطغاة محدود، حتى لو كانت أميركا وإسرائيل هما الضامنتيْن. وسوريا عانت من حكم الطاغية، وتعاني من حكم ابن الطاغية.

غاب بشّار الأسد لأشهر عن السمع قبل أن يطلّ على محطة "الدنيا"، وهي نموذج للتخصيص الاقتصادي في دول القمع العربيّة - يحصل ابن العم أو ابن الخال على حق إنشاء شركة خاصّة، لا غيره. التخصيص ما هو إلا انتقال حظوة الأسرة الحاكمة المُتجسّدة في الدولة إلى حظوة الأنساب والأصدقاء والتوابع. وغياب بشّار عن السمع كان ملفتاً بالرغم من أنه يرى في نفسه خياراً شعبيّاً يحظى باستفتاءات بعثيّة لها من المصداقيّة ما لطقوس تقديم البيعة في دول النفط والغاز أو الفوسفات. عاد بشّار للظهور لكن لهجته على الشاشة السوريّة تختلف عن لهجته على الشاشة الغربيّة. تراه مثلاً في مقابلته مع بربارة ولترز يظهر بمظهر من يجهد كي يبدو مُحبّباً ومُقرّباً ولطيفاً. لا نرى أي أثر لهذا الجهد في مقابلات بشّار السوريّة. لا يجد ابن الطاغية ضرورة لإقناع الناس، أو للاعتذار. لا يجد ابن الطاغية ضرورة لكسب ودّ الناس، لأنه يضمن حبهم الأبدي في مخيّلته.

ولد بشّار ابناً لطاغية. لم يمرّ بما مرّ به والده في مرحلة التحضير لمؤامرات السلطة. كانت اللجنة العسكريّة السريّة التي شكّلها حافظ ورفاقه أثناء الوحدة تعلم أن في مرحلة تخطيطها للاستيلاء على السلطة عليها أن تعترف بأنها على تضاد مع معظم قطاعات الشعب. حزب البعث أدرك أنه لن يصل إلى السلطة عبر صناديق الاقتراع، فقرر أن المؤامرة العسكريّة هي الطريق الوحيد. والمؤامرة العسكريّة هي من نتاج براعة حزب البعث التسلطيّة: يعرّف الجهاز الحزبي ليس فقط كيف يحضّر لانقلاب، وإنما كيف يقضي على انقلابات مضادة. تمرّس حافظ الأسد ورفاقه في التآمر من خارج ومن داخل السلطة. وفي فترة صلاح جديد (التي شكلت حقبة علمانيّة حقيقيّة في التاريخ المعاصر لسوريا) كان حافظ الأسد هو الذي تولى ضبط إيقاع قمع الانقلابات الوشيكة، أو ردع الانقلابات، أو حتى توقّع الانقلابات قبل أن تحدث. لم تساور الزمرة الحاكمة أوهام: كانوا يعلمون علم اليقين أنهم يفرضون حكما قاسيا بالقوّة العسكريّة والمخابراتيّة. خلت خطبهم من الكلام عن حب الجماهير بعد سنوات قليلة فقط من تسلمهم السلطة.

ليس بشّار وحده ابن الطاغية بين الحكّام العرب: هناك الملك محمد السادس في المغرب، والملك عبد الله الأردني، والملك عبد الله السعودي وحاكم الإمارات وسلطان عمان وأمير قطر وملك البحرين: كل هؤلاء أولاد لطغاة. يحبو ابن الطاغية بين جدران القصر العالية، ويهرع إليه أفراد الحاشية المدجّجون كلما بدرت عنه إشارة ضيق، وهو يقتات باكراً على الكافيار والذهب: لا يذوق ابن الطاغية الأكل "البلدي". قال ملك الأردن مرّة مُفاخراً عن علاقته بأولاد الحكام (كان عبد الله هذا صديقاً صدوقاً لعديّ صدّام حسين، لكن لم يجرؤ مرّة واحدة ليخبرنا عن صداقته تلك التي استمرت لسنوات طويلة) إنهم يتبعون نفس النمط المعيشي: يأكلون في نفس المطاعم الأوروبيّة والأميركيّة ويتزلّجون في نفس المنتجعات الجبليّة السويسريّة، وينزلون في نفس الفنادق الفاخرة في الغرب. نسي أن يضيف أنهم يقامرون في نفس النوادي ويرتادون نفس الحانات الليليّة ولديهم نفس مستشاري اللذّات أثناء إقامتهم في الغرب.

ابن الطاغية يظنّ أن النساء يتجاوزن العذريّة عند ظهوره على الملأ، وأن المواطن والمواطنة تنتشي من ذكر اسمه. الحاشية أقنعت ابن الطاغية أن ولادته لم تكن صدفة: أنه ذات صفة إلهية. لا يجد ملك المغرب (الإصلاحي بمفهوم الغرب المنافق) حرجاً في عرض نعليْه أمام رؤوس الناس المنحنية أمامه. ولا يجد بشّار حرجاً في الوقوف أمام مجلسه (غير المُنتخب ليرى الأعضاء يصفّقون بتكرار كالبطاريق. ولا يجد الملك الأردني حرجاً (والرجل حجّة لزائري الدول الغربيّة في الشرق الأوسط الذين يستجدون حكمته في شؤون الديمقراطيّة والإصلاح، ويستمعون لنصحه في الموضوع السوري فيما تهتف جماهير المعترضين الأردنيّين على بعد أميال غير بعيدة القصر بلغة لا يفهمها الزائر الأجنبي) في زج مواطنين في السجون بتهمة "إطالة اللسان". ولا يجد حكّام الخليج حرجاً في تدبير أمور التغيير في سوريا واليمن وهم الذين عصيوا على التغيير لعقود طويلة، وهم نتاج نظام حكم يعود لما قبل القرون الوسطى.

لم يسمع ابن الطاغية أصوات الشعب منذ سن الطفولة: هو سمع فقط أصوات الحاشية والمصفقين والمطبّلين. لا يدخل حجرته منذ الطفولة من لا يتأبط طبلاً ومن لا ينفخ مزماراً: هي شروط الدخول إلى الحجرة الأميريّة. والسلالات الجمهوريّة طريفة: هي تفترض أن الناس لا تلاحظ إنشاء السلالة. عندما مات باسل الأسد، نُظم فيه كم من القصائد جمعت بين دفتيْ كتاب (معظم ناظميها من منافقي الفريقيْن المتنازعيْن في لبنان). كيف يرى ابن الطاغية الناس واسم البلد العريق بات ملتصقاً (على طريقة آل سعود) باسم العائلة الحاكمة. درج متملقوا السياسة في لبنان على تسمية "سوريا الأسد". أي أن وجود سوريا متلازم مع وجود العائلة، والعكس صحيح. هل هذا يعني أن العائلة لا تقبل بوجود سوريا من دون العائلة؟ هل هي الحكمة من وراء التسمية؟ أم أن التسمية ترمز إلى تقويم - لا ميلادي ولا هجري - جديد: أن سوريا بدأت مع حكم العائلة. أم أن التسمية تقول إن سوريا باتت من ممتلكات العائلة؟ لم يشرح المفسّرون.

نشأ بشّار في منزل الطاغية. مرّت أحداث جسام وتوالت المؤامرات، لكن نشأة بشّار لم تكن على نسق نشأة حافظ ليس فقط لخلوّها من شظف العيش بل لناحية العزلة عن الناس العاديّين. يُحاط ابن الطاغية بهالة من التعبّد وبطبقات من الحاشية تحول دون الاختلاط بالناس. ينشأ ابن الطاغية على فكرة أن الناس تعبد الطاغية-الوالد، وأن كل من تسوّله نفسه المعارضة أو حتى مساءلة النظام هو حكما متآمر ومرتبط بالأجنبي. ليس هناك من أسباب تخفيفيّة للمعارضة عند ابن الطاغية.

الكثير من سلوك الطاغية بشّار في فترة الصراع الجاري في سوريا ينمّ عن عقليّة نشأة ابن الطاغية. عزلة الحاكم بادية في كل تعامل بشّار مع الانتفاضة. إطلالات قليلة أمام الناس على مرّ نحو سنة ونصف. إصرار على تجاهل تطلّعات شعبيّة عارمة، حتى لو أن النظام يتمتّع، ولأسباب مختلفة، ببعض من التأييد الشعبي. التمسّك بشعارات إصلاح لم تعد تقنع أحداً. إن انشقاق رئيس وزراء سوريا كان خير دليل: كان حجاب على اتصال مع المعارضة قبل تكليفه بالمهمّة. أي أنه لم يدر في خلد بشّار أن يكون الرجل ليس من صف مصفقيه ومُطبّليه - أو أنه كان من المُطبّلين والمُزمّرين لكنه ذهب بثمن. الإصلاح يكمن فقط في الحفاظ بأي وسيلة على النظام مع تغييرات في الديكور والإتيان بمعارضة مرضي عنها وموثوق بها.

وابن الطاغية نشأ ثريّاً واعتاد - بالرغم من كل ما يُقال عن عدم ثرائه الذاتي وعن بساطة عيش والده - على الثراء من حوله. أعمام وأولاد عم يكنزون الذهب والفضّة والدولارات بسبب صلة الأرحام فقط. القطاع العام تحوّل في حكم البعث إلى قطاع خاص - خاص بالعائلة الحاكمة وأفخاذها. أي أن الخاص هو ملك العائلة، والعام هو ملك العائلة. وعندما أدخل الحكم السوري ما يُسمّى--بمفهوم البنك الدولي وصندوق النقد-- بـ"الإصلاحات الإقتصاديّة"، زاد ثراء الأثرياء وزاد فقر الفقراء. الحزب الذي كان يتحدّث في زمن غابر عن الفقراء، بات يخجل بهم. الطبقة البورجوازيّة تحوّلت إلى عماد النظام. ازدراء الفقراء باد لمن يتابع إعلام النظام: تعبير "أبو شنّاطة" يرمي إلى تعيير الفقراء لفقرهم - كأن العائلة المالكة أثرت بعرق الطائفة. يتحدّث النظام عن بضع دولارات لإغراء الفقراء كي يثوروا وكي يفجّروا. لا يدري أغنياء النظام أنهم يواجهون أثرياء الخليج. الفقراء منسيّون من الطرفين.

لا يبدر عن بشّار إشارة تشكيك ذاتيّة. هناك نواحي من غرور الشخصيّة تذكّر بصدّام. حتى الطاغية بن علي تواضع قسراً وزار البوعزيزي وكاد أن يقبّل يديه وقدميه. صحيح أن حسني مبارك لم يتواضع هو الآخر، وكان متكبّراً متعجرفاً على طريقة بشّار. لكن قد يكون بشّار نشأ على قيم الميكيافيليّة الأسديّة: التواضع ضعف والنقد الذاتي يقدّم المرء نحو المقصلة. الاعتراف بالخطأ يجب أن يترافق مع تجهيل المُرتكب.

دخلت سوريا في أتون حرب أهليّة وإقليميّة-عالميّة أيضاً. المتحاربون باتوا أدوات في معركة لا يدركون دوافعها ومراميها. قد يكون بشّار قد تحوّل إلى أداة هو الآخر، لكن يدرك أن السلالة جزء من إرث الطاغية. والعائلة لا تقبل بالتسليم، مهما كان. الحفاظ على السلالة أهم من الحفاظ على وطن بنزف. قد يكون الرعاة في صفّه مثل الرعاة في صفّ الخصوم: لا يكترثون لما يدري. مصالح الدولة (غير السوريّة) أهم.

قد تطول حقبة ابن الطاغية، أو قد تقصر. لكن من المحتم أن حفيد الطاغية لن يحكم - ولو يوماً واحداً. يندم والداه على تسميته بالعبء الأبدي.

الربيع العربي.. إلى أين؟!
مجموعة من الباحثين

■ ياسر مرزوق

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب "الربيع العربي.. إلى أين" لمجموعة من الباحثين، وإن جاز لي استخدام مصطلحات التجارة في معرض قراءتي لكتابنا اليوم، فمركز "دراسات الوحدة العربية" يعتبر علامة للجودة في الغالبية العظمى من إصداراته، ولما كان الربيع العربي الحدث الأبرز في تاريخنا الحديث، فلن يكون كتابنا اليوم آخر الأبحاث المتعلقة بهذا الحراك التاريخي المجتمعي المستمر، وقد جاء في تعريف الكتاب ما يلي:

فاجأت الثورات العربية المعرفة المعهودة، أو السائدة في مناخات عربية مارست القطيعة مع الديمقراطية، لعقود طويلة. وبفعل هذه الثورات، أصبحنا نعلم أن الممكن كان كامناً في الواقع، ولم نره. وغدونا نعلم أن مَنْ سَمّيناهم، بحرية عالية، "فاعلين" ليسوا هم من فعّلوا هذا الممكن. مَنْ فعّلوه "ناس عاديون" كانوا، في بحوثنا، كائنات هلامية، نملأ بها جداول إحصاءاتنا. مما سُمّي مفاجأة هو تلقائية الممكن، يخرج من "مستحيلات" الخطاب؛ إنه الخطاب الذي استبطن "خروج العرب من التاريخ" واستبطن صورة العربي الذي لا يثور! لم تعطل الإمكان فيه سلطة القمع، بقدر ما عطّله عجز معرفته بالصيرورات.

وبعد، يبقى التساؤل عن علاقة معرفتنا بثورة جارية، لا نعرف خواتيمها، لا مجال لجوانب أخرى كثيرة: مثلاً، مواجهة ممكنات الثورة بمستحيلات التدبير والتسيير، وهذا يظهر، أوضح ما يظهر، عند ما يُطرح المطلب الاجتماعي لأنه الأكثر إفرازاً للمصالح والمتناقضات. يظهر عندما يصطدم الثوري بالشرعية التي أنتجها: هو ينتج سلطة عليها أن تُقنع، أولاً، بأنها سلطة. عندئذ تكون العودة إلى سؤال قديم: تغيير من الداخل أم ثورة جديدة؟

يضمّ الكتاب مجموعة مقالات ودراسات نشرت حديثاً عن "الربيع العربي" وعن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي فجرت تلك الثورات واحدة تلو الأخرى وخصوصاً في تونس ومصر. ما يميّز الدراسات تلك باستثناء البعض القليل، هو تناولها لموضوع الثورة بشكل عام دون الخوض بالـ "خصوصية" التي تميّز بلداً عربياً عن آخر. الخصوصية التي يتذرع بها الموالون للأنظمة العربية. وكأن "الخصوصية" تنجّيهم من عدوى الثورات.

ويجمع معظم الكتاب المشاركين على أن أسباب اشتعال تلك الثورات أو تلك "الثورة"، كانت واحدة. "نمو طبقية متوحشة تتغذى على انعدام عدالة توزيع الدخل، واستشراء البطالة. الفجور الذي تمارسه الأنظمة التسلطية العربية التي داست بأقدامها كرامة الإنسان العربي، قبل أميركا. شطط الأنظمة الفاسدة في القمع والفساد والتزييف والاحتقار مما وضع الإنسان العربي أمام تحدّ وجودي: أكون أو لا أكون، فقرّر أن يكون!". يقول أستاذ العلوم السياسية في جامعة السوربون ووزير الثقافة اللبناني السابق غسان سلامة أن "المسألة في العمق هي في نظرة الحاكم إلى السلطة، بوصفها مُلكاً له، وإلى الدولة بوصفها متاعاً يحق له التصرف به للإثراء الذاتي أو للتوريث لمن يشاء أو للبيع والشراء والمقايضة".

كما يجمع الكتّاب في أكثر من مكان على عدم أهمية التوقيت. بمعنى آخر، على ادخار الجهد والوقت بدراسة مستقبل تلك الثورات بدلاً من الإنشغال في كيفية اشتعالها وبدلاً من التساؤل: لماذا اليوم وليس البارحة؟ لماذا الآن تحديداً؟ إذ يرى البعض أن الثورات ليست مجالاً للتنبؤ. ولو كانت كذلك لما اشتعلت أصلاً. كان باستطاعة الزعماء العرب وحكوماتهم المترهلة، المستشرسة، الملتصقة بالـ "كرسي" أن تتجنب حصولها. إلا أن تجاهل التوقيت لا يمحو الدهشة مما حدث. يقول طاهر لبيب، مدير عام المنظمة العربية للترجمة، في مقدمة الكتاب، إن "الثورات العربية فاجأت المعرفة أيضاً. وإن المعرفة التي لم تتفاجأ لم تكن معرفة. ما سمّي مفاجأة هو تلقائية الممكن، إذ يخرج من "مستحيلات" الخطاب: الخطاب الذي استبطن "خروج العرب من التاريخ"، واستبطن صورة العربي الذي لا يثور". مضيفاً أن وراء هذا كله يأتي "إحباط تجربة اليسار العربي الذي سبق له أن استفزّ الممكن، ناضل، ضحّى، مات من أجله، ولم يتحرك هذا الممكن الحرون!".

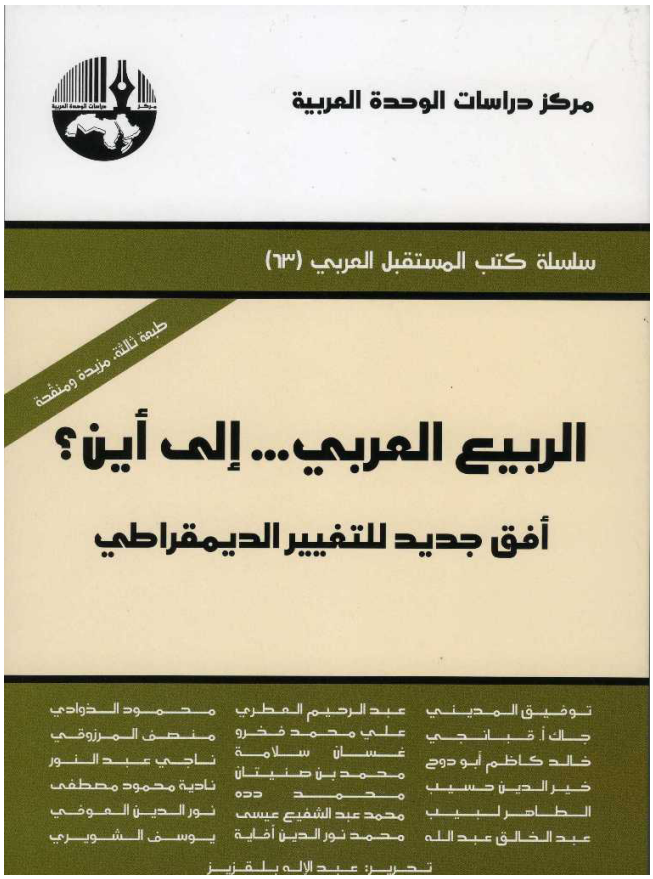

تجدر الإشارة إلى إجماع آخر أتى في متن الكتاب، هو أنه لا تكفينا ثورات سياسية، بل نريدها ثورات نهضوية انبعاثية، بمعنى أنها لا تكتفي بطرح شعارات وبرامج يعرفها الجميع وإنما كانوا محرومين منها بفعل الاستبداد، وإنما أيضاً تأتي بشيء جديد، وكلمة جديد ليست وصفية فقط وإنما يجب أن تشير أيضاً إلى ممارسة فكرية بالغة الأهمية، ما تشير إليه المهمة الجديدة هو ما يهمنا في هذا المقال المختصر، وهو كالعادة موجه في الأساس إلى شباب الثورات المعنيين بمستقبل ما بدأوا به.

إن ذلك يعني بأن الجدة التي ننشدها في نهضتنا وفي انبعاثنا اللذين يجب أن يكونا في قلب مسار ثوراتنا، هذه الجدة لكي تكون حقيقية يجب أن تنطلق من تحليل الأهداف القيمية الكبرى التي اعتبرت في الماضي أبدية وليست مؤقتة، ليس المقصود بالطبع هو تقليد الماضي ولا فهم حياتنا الحالية من خلال شعاراته وقيمه وإنما الانطلاق لبناء الجديد الحقيقي من أهداف الماضي الخالدة.

لقد كتب الكثير عن ضرورة وجود مشروع سياسي اجتماعي - ثقافي بعد نجاح الفعل الثوري مباشرة حتى لا تبقى الثورات مجرد شعارات عامة تتلاعب بها الأهواء ومختلف أقطار الوطن العربي. هذا الأمر ليس مهمًا فقط من أجل أن يعرف الناس أهداف الثورات كما ستتجلى في الواقع وإنما أيضا من أجل أن يكون هناك دليل مفصل يرجع إليه شباب الثورات في قيامهم بمهمات مراقبة الأنظمة الحاكمة الجديدة وتقويم مساراتها إذا انحرفت ومحاسبتها إذا تمادت في الخروج عن مسارات الثورات الرئيسية.

أخيراً يبقى كتابنا اليوم والكتب المشابهة التي نشرت أو ستنشر عن ربيعنا العربي، احتفالية بولادة عصر عربي جديد. الربيع العربي الذي أسقط وقبل الأنظمة والفساد والعسكر، أسقط مقولة الخطاب "خروج العرب من التاريخ "، وأعاد لهم الثقة ببناء حاضر ومستقبل سيسجله التاريخ..

متى ستفهمون أن النظام وضعكم في مواجهة بعضكم البعض لينقذ نفسه؟؟

■ نائل حريري

الزاوية الأولى:

على الحاجز المقابل لمنزلي يشربون الشاي ويتضاحكون بقلق. أراقبهم من شرفتي وهم جالسون على الإسفلت ينتظرون أوامر التأهب، وجوههم متعبة وعيونهم تحدّق في فراغ غير منظور. في اليوم الأوّل لوضعهم على هذا الحاجز... يرتدون اللباس العسكري الكامل وكل منهم يركن بارودته "الكلاشن" على الأرض بجانبه. ثلاث ورديات من الشبان يتناوبون على الوقوف والجلوس قرعةِ مصيرهم المجهول كلّ ثماني ساعات

كانت تسليتي الوحيدة في هذا الجو المشحون هي مراقبتهم. في اليوم الأول اعتراهم الانضباط فراحوا يستلمون ويسلّمون، يتقاسمون المواقع وأكياس الرمل ويقفون باستعدادٍ وكأنّهم على جبهةٍ حدودية. في اليوم التالي تضاءل الانضباط والرسمية بينهم فصار التبديل يتمّ على عجل لكنّ كلاً منهم بقي ملتزماً بموقعه يجلس محدقاً في الأفق أمامه ولا يبادل الآخرين الكلام. في اليوم الثالث والرابع تخلوا عن مواقعهم المحددة وراحوا يجلسون في بقعةٍ واحدةٍ من الحاجز يشربون الشاي ويتبادلون الأحاديث والضحكات القلقة

اشتريت علبةً من "البسكويت" من الكشك المجاور وسرت باتجاههم لألقي عليهم السلام وأقدم لهم بعضها. رفضوا في البداية ثمّ تناولوها مع عبارات الشكر والعرفان ودعوةٍ لمشاركتهم كأساً من الشاي

أجلس بينهم بخجل، نوبتهم تبدأ في الحادية عشرة وتنتهي في السابعة صباحاً. أسألهم عن أخبارهم وحياتهم. أحمد الكيزاوي يبلغ 22 سنة ويعمل مزارعاً مع أبيه في إحدى قرى حماه قبل أن يتمّ "سحبه" إلى التجنيد الإجباري. لديه حبيبةٌ في القرية وعدها بالزواج بعد انتهاءِ خدمته لكنّه قلقٌ الآن من ألا يعود أبداً. زاد قلقه حين أخبره سامر العلي – الحمصي ابن ال 20 ربيعاً – أنّ موعد تسريحه قد مضى منذ شهرين، وأنّه ما يزال ينتظر أن يغادر عائداً إلى والدته وإخوته الخمسة. يحزّ في نفسه أنّ والدته لن تهنأ بضمّ أولادها في هذه الظروف الصعبة، فحين يعود هو سينضم أخوه الأصغر – 19 عاماً – إلى الخدمة الإلزامية التي تأخر عنها عاماً بانتظار عودة أخيه. محمد السيد من إدلب هو الأصغر في المجموعة ويبلغ من العمر 18 عاماً وقد أمضى من خدمته الإلزامية خمسة أشهر، موضع السخرية من أصدقائه في المجموعة لكنّهم عادةً ما يصالحونه في كل يوم كي يشبعوه سخريةً في اليوم التالي. يحبّ إحدى قريباته لكنّه يندم على أنّه لم يصارحها بذلك بعد، لذلك فهو ينتظر الإجازة منذ شهرين ونصف كي يسارع إلى بيت أهلها ويفاتحهم في الموضوع

لكنّ الإجازة لا تأتي. كبير المجموعة هو حسام العمر من حمص أيضاً وعمره 25 عاماً، متزوج ولديه ولدٌ ينتظره على الجانب الآخر من الحياة. تزوّج أثناء دراسته الجامعية من صديقته في كلية الحقوق بعد حبٍّ استمر ثلاثة أعوام، أنجب ولده قبل التخرج بأشهر وما أن تخرّج من الجامعة حتى التحق بالخدمة الإلزامية، وما يزال يقضي وقته في استراق النظر إلى صور زوجته وطفله كلّما سنحت الفرصة

ها هم اليوم يجلسون على الإسفلت يشربون الشاي، ينتظرون الأمر بالتأهب أو بالقتال. ينتظرون العصابات المسلحة الموعودة التي ستأتي لتسرق منهم حياتهم كما يفهمون الموضوع. ربما هم لا يفهمون الموضوع، لكنّ القيادة تفهم وستخبرهم بما يفعلون. أدعو لهم بالحماية والحفظ الإلهي، فينهضون ليشكروني ويودعوني

الزاوية الثانية:

عند دوار باب الحديد ينصبون الحواجز، تأخذهم النشوة ويلهب حماسهم الهتاف (اللّه أكبر). يعلقون الرايات ويمسكون ببواريدهم رافعينها إلى الأعلى بثقة. يجلسون بعدئذٍ ويتسلى بعضهم بتنظيف بارودته أو بفكها وإعادة تركيبها. عادل الخطيب شاب في ال19 من العمر أتى من جبل الزاوية إلى هنا بعد أن لاقى الأمرّين، يحدّق في رصاصاته كارهاً إياها ومستحضراً حقيقة أنّ إحدى هذه الرصاصات قتلت أباه. أما صديقه وشريكه على جمال الهارب من ريف حلب الشمالي فقد افتقد كلّ ما يمكن أن يعود إليه، لا بيت ولا عائلة ولا مكان ولا ما ولا عمل ولا قرية، فقط يحلم بالنصر كي يعود إلى بيتٍ جديد يجد فيه لقمةً بسيطةً وزوجةً محبّةً. وحده محمد الأحمد لم يكن لديه ذكريات سيئة تخصّه، هو مجرّد شاب في السابعة عشرة هبّ لنصرة دينٍ الحق على الطغاة الكفرة، بعد ما شاهده من مناظر مفزعةٍ جعلته يقبّل الأيدي كي يقبل مجاهداً في سبيل اللّه

يقول علي جمال لصديقه عادل الخطيب: "خاي عادل، بتعرف الطابة الحلبية شلون بتطج؟".... ويكمل دون انتظار إجابة: "طدج... طدج.. طدج" لتنطلق من حوله الضحكات، فيبتسم جذلاً، ثمّ يعود لتنظيف بارودته قبل أن يبدأ التحرّك مجدداً

الزاوية الثالثة:

في يوم ما... القيادات التابعة لجهةٍ ما تدعو للتأهب، القيادات التابعة للجهة الأخرى تدعو للتأهب. قيادات تأمر ببدء الهجوم، مراسلون صحافيون من الداخل والخارج يستعدون، يأمرون الكاميرات بالتصوير بعد انتقاء كادر مناسب للخبر الذي سيتم إعداده. الشبان يهاجمون أعداءهم، النصر أو الشهادة. شبان آخرون يتصدّون لأعدائهم، النصر أو الشهادة... محمد الأحمد يتخيل حلمه أمام عينيه، النصر قريب. حسام العمر يتخيل حلمه أمام عينيه، زوجته وابنه ينتظران. محمد السيد يتخيل حلمه أمام عينيه، سينال مكافأة 24 ساعة ويذهب ليصارحها. علي جمال يتخيل حلمه أمام عينيه، يضمّ زوجته بحنانٍ في بيتٍ دافئ بعد عشاءٍ دسم. أحمد الكيزاوي يتخيل حلمه أمام عينيه، سينهي خدمته العسكرية بتحقيق إنجازٍ لخدمة الوطن

يختبئ أحمد الكيزاوي خلف جدار سميك، يصيح: "من هون... من هون". يخرج علي جمال من مكمنه ويطلق. محمد السيد يربض في مدخل بنايةٍ ويبكي رغماً عنه. يشدّ من أزر نفسه ويخرج مطلقاً رصاصه في الهواء غالباً. يهاجمه عادل الخطيب من الخلف ويطلق الرصاص، ينبطح حسام العمر فوق محمد السيّد بينما الكيزاوي يطلق من بعيد فيردي قتيلاً، قتيلين... إصبعه لا يقوى على ترك الزناد، تهوي جثة أخرى أمامه ويهوي هو أيضاً مضرجاً بدمائه

محمد السيد ينهض لاهثاً، توقّف إطلاق الرصاص... دقيقة، ربما دقيقتين... يحبو نحو ذلك الجسم البشري المضرج بالدماء. إنه شابٌ في السابعة عشرة على ما يبدو... يمسك بوجهه متحرياً علامات الحياة، فيفتح عينيه ببطء: "اسمي محمد الأحمد، أنا من المعارة... خبر أهلي". لكنّ اللهاث يستهلك أنفاسه فيمسك محمد السيد بيده يرفع له سبابته ويقول: "قول لا إله إلا اللّه"

المراسلون ينهون تصويرهم ويغادرون، يجب نشر المقاطع مباشرة وإبلاغ القيادات. وفي بحر من الدموع والدماء، يعود محمد السيّد إلى البكاء من جديد... ينتظر أن يسخر منه أحد... أيّ أحد!

الزاوية الرابعة:

"يا اللّه... مالنا غيرك يا اللّه!"

الفن في ثورة سوريا
نحن السوريون نقود أنفسنا بأنفسنا

عمل للفنان خالد ضو

هل كان يمكن للثورة السورية أن تنطلق بدون فن؟ بدون الكتابات على الجدران؟ بالتأكيد لا، فالثورة بدأت بهذه الكتابات. في هذه الأثناء يكشف معرض برليني النقاب عن الإنجازات الفنيّة للثوّار. تحضر الحريّة في الكثير من الأعمال، مع قليل من الرثاء والكثير من الفكاهة والسخرية.

لم يع الفنان أحمد رمضان ما الذي جرى له. فيَ طرطوس، وهي مدينة سورية على ساحل البحر المتوسط، تم إيقاف سيّارته من قبل رجال مدجّجين بالسلاح وتم ترحيله بعدها مع صديقته الألمانية إلى سجن أمن الدولة بدمشق. "وضعوا كيساً على رأسي. رأيت في زنزانتي حبالاً معقودةً، كانت بالتأكيد مخصّصة للتعذيب. لقد لاحظت أن البقع البنية على الحيطان هي أجزاءُ لحم انسلخت عن أجساد من سُجن قبلي فيَ هذه الزنزانة". بعد هذا الكلام يصفُ أحمد الشخصَ الذي استجوبه بـ "الشيطان المتجسّد في بشر".

سُمح بعدها لأحمد رمضان أن يغادر إلى ألمانيا - لكن ظلّت الكوابيس تلاحقه كل ليلة. إحدى قطعه الفنية: لوحة من الفن التجريدي مع بقع رمادية، سوداء وبلون الصدأ ورشات حمراء على خلفية بيضاء واسعة: "أردت تصوير الخوف، شيئاً ما يظهر كالانفجار. المساحات البيضاء تعكس الفراغ واللاقوة في هذه اللحظات"، بحسب رمضان، وهو شابٌ طويل القامة، نحيفٌ بنيُّ العينين مع شعر مجعّد غامق له من العمر 24 عاما.

لوحاته موجودة في معرض (فوروم فاكتوري) البرليني، بالقرب من "نقطة تفتيش تشارلي". ويضم المعرض الذي يستمر حتى غاية 19 آب/أغسطس لوحاتٍ لحوالي خمسين فناناً سورياً، عروضاً لأفلامٍ وفنون انترنت، صورا وكاريكاتير. في المعرض روح الفن الثائر: فتيّ، وقع أيضاً وقبل كل هذا حيّ. الأعمال الفنية تبدو جديدة وطازجة وكأن حبرها لم يجفّ بعد، وكأن آخر لمسة فيها لم تُعمل بعد.

"قد أدركنا سلفاً، أنه سيأتي دور الثورة السورية بعد الثورتين التونسية والمصرية"، يقول أحد الفنانين المشاركين، والذي رفض الإفصاح عن اسمه - خوفاً على عائلته، التي ما تزال تعيش في سوريا. "ظنّنا أننا سنضحك من الفكرة القديمة التي تقول أن حزب البعث يقود الشعب. وقلنا لأنفسنا: سنقلب موازين الأمور، فلسنا بحاجة لحزب ولا لنُخَب. نحن السوريون ببساطة: نقود أنفسنا بأنفسنا".

وهكذا يطالع المرء صوراً لكل اصطفاف دبكة ثورية سورية تنشأ عفوياً في الشوارع. ولكنك تطالع أيضاً اصطفافات رقص لدى المتظاهرين، والتي قد تتطور لما يسميه الثوّار "تسونامي الحرية".

في سوريا كان التصوير لفترة طويلة من المحرمّات حتى في الأوساط الفنية. وليس منذ زمن بعيد، سُمح بالمعارض في أماكن محددة وبعد أخذ موافقات أمنية وبالتأكيد تحت رقابة الشرطة السرية السورية.

يبدو فن الثورة وكأنه قد انفجر ليقود الثورة. فهناك فن انترنت خفيف الدم، عفوي لمجموعة تطلق على نفسها "الشعب السوري عارف طريقه". تديرها مجموعة مدوّنين، ناشطين ومصمّمين. وقد منحت لجنة تحكيم آرز إليكترونيكا في لينز هذه المجموعة جائزة نكا. اسم المجموعة هو برنامج عمل. ما يعني أن الشعب السوري يعرف أن هو مكمن مشاكله، ويستطيع بنفسه أخذ زمام الأمور لحلّها من غير أي تدخّل خارجي.

هل كان يمكن للثورة السورية أن تنطلق بدون فن؟ يمكن للمرء أن يطرح هكذا سؤال. فقد بدأت في آذار/مارس 2011 برسومات فتيان في مدينة درعا على الحدود الجنوبية. وفي نهاية المطاف بدء التواصل عبر الانترنت. وفي ربيع هذه الثورة، حينما كانت الأمور هادئة في دمشق وحلب كانت هناك حركات ثورية. فقد دحرج ناشطون العديد من الكرات البيضاء الصغيرة "من لعبة كرة الطاولة" في الشوارع وكانوا قد كتبوا عليها كلمات من مثل "حرية" و"ثورة". وقد سعى وقتها عناصر المخابرات بحدة لجمع هذه الكرات من الشوارع.

انتشرت على شبكة الانترنت أيضاً أفلام مصورة بواسطة الهواتف المحمولة، حيث يظهر أناس بجانب نوافير ماء، يتحول الماء فجأة فيها إلى اللون الأحمر – لأن أحدهم وضع صباغاً أحمر في الماء في إشارة إلى نزيف الدم الحاصل بسبب النظام. كما عمل المدوّنون والمصمّمون على إيجاد لوحات طرقية جديدة، تشير إلى الطريق، إلى مجتمع جديد، فتقرأ على إحداها: "قف! أيها المناصر للأسد. عذراً لإزعاجك. نحن نعمل على تحريرك حالياً".

لا يمكن للمرء أن يفنّد حسنات فن سوريا الحالي. كما أنه لا يمكن إنكار نجاح هذا الفن في أن يكون فريداً نوعاً ما في بعض طباعه. الفن في سوريا شريك الثورة، فقد وُلد توأماً لها في نفس اللحظة. وفقاً لسارتر فهو "فن ملتزم". "لقد مضينا مع أبناء شعبنا في الشارع" يقول محمد الرومي، عميد الجمعية السورية للتصوير الفوتوغرافي المعاصر – ومقرها باريس، "لقد جلبنا الفن إلى الشارع، إلى حيث ظهر في البداية وإلى حيث انتماؤه".

لا علاقة لهذه الأعمال الفنية بالمدارس الفنية الأوروبية أو الأمريكية. إنه مجرد تزاوج بين الفن والعمل، شيء يحلم به الكثيرون في أوروبا في القرون الأخيرة، بدءاً بالمستقبليين وانتهاءً بالثامن والستين.

يتحدث إرنست بلوخ عن فلسفة فن "شخصية الصدارة"، الفن الذي يقدّم ويبشّر لمستقبل أفضل. في سوريا يتم حالياً نسج خيوط المستقبل من قبل الثورة والفن على حدّ سواء. وهذا ما يتوق لفعله الفنانون الأوربيون.

يقول المصوّر الشاب زيّاد حمصي، الذي ترافقه كاميرته منذ وقت قصير على الطرقات: "كما هي الحياة، تحتاج الثورة لعين ثالثة، كاميرتي. في هذه الأوضاع الصعبة كانت عيناي وكاميرتي هم أدواتي، اللاتي استطعت بواسطتهن تخزين لحظات حاسمة لأريهن لمن أحب.

مجموعة "عدسة شاب حمصي"، شباب مصورون من حمص، يعطون للأنقاض معانٍ وأحاسيس: فدمية على كومة ركام، ولد ينحني أمام بقايا صاروخ متفجّر، ويستخدمه كلعبة محبّبة سقطت من السماء.

يتم النظر إلى سوريا من قبل الإعلام الغربي بطريقة مشوّهة. "الناس ترى سوريا عبارة عن حرب مميتة بين معسكرين متحاربين"، يشرح ناشط. من جهة جيش النظام مقابل جهة أخرى هي ما يسمّى بالجيش السوري الحرّ، الذي تشكّل من الوحدات المنشقّة عن جيش الأسد.

يظهر السوريون على التلفاز كمقاتلين أو لاجئين. ويقدّم الشعب كله بهاتين الصورتين.

يهدف المعرض البرليني إلى وضع كل أطياف الشعب في دائرة الضوء. منذ عام 2003 ينشط أعضاء "الحراك السلمي السوري" ضد النظام.

وتحت هذا العنوان يتّفق الفنانون المشاركون في معرض برلين على أنهم ليسوا جزءا من الحرب. وكذا كان يرى نفسه المخرج باسل شحادة، الذي اغتيل قنصاً في أيار/ماي. تم عرض فيلم عن المخرج، كما تضمنت النشاطات معزوفات موسيقية وقراءات ونقاشات كما لو كنّا في مهرجان ثقافيّ سوريّ صغير.

هناك من لديه رؤىً سوداوية، يائسة راثية للحال. من بين أصحابها الرسّام علي كهف الذي انتقل لألمانيا قبل عشر سنوات، والذي رسم شكل رأس على هيئة قناع أفريقي أسود. فحرق بقعات بيضاء عليها، للدلالة على الخسارة، كما يقول، ولكنه يمكن أن يكون الأمل متموضعاً خلف الفراغات الجديدة.

وهكذا لا يدور الحدث في فوروم فاكتوري حول "حريّة الفن" المعروفة على نطاق واسع في الغرب؛ ولكن محور الحدث شيءٌ لم نسمع عنه من قبل: فنّ الحريّة. لم يكن يوجد للآن فضاء مفتوح بين دمشق وحلب، يستطيع المواطنون عبره إيصال أصواتهم. ينبغي أن يُؤخذ أولاً. وهذا ما تقوم به الثورة بفرادة: الفن يهيّئ لنفسه الفضاء الذي يلعب فيه.

هل يمكن للمرء أن يستشعر شيئاً من هذه الولادة؟ روح الحرية تشعّ في كثير من الأعمال. المدهش في الأمر أنها تأتي مع القليل من الرثاء. في حين تطغى السخرية والدعابة على الكثير من المواضع. على الصفحة الأولى للدعوة تظهر صورة زجاجة دواء سعال، وهي إشارة إلى الرئيس الأسد، الذي سكر من تعاطي الدواء بكميات مفرطة: الرئيس المتعاطي للمخدرات. لكن الزجاجة ملقاة على جانبها، ويخرج منها العصير الذي يبدو على هيئة دم سميك ينتشر على سطح زجاجيّ.

هناك مجموعة غنائية، تطلق على نفسها اسم "الدب السوري" وهو حيوان موجودٌ فعلاً في الواقع. يتباطح هذا "الدب السوري" مع الأسد عن قصد. اسم الرئيس السوري يعني الأسد. "دبّ مقابل أسد"، يقول أحد أعضاء المجموعة، فضّل عدم الكشف عن اسمه. "سوف نرى ما الذي سيحدث".

معرض الصور حول سوريا، فوروم فاكتوري، من 7-18 آب/اغسطس 2012 – شارع بيسيل 13، 10969 برلين

المصدر: Süddeutsche
Kunst im aufständischen Syrien
"– "Wir Syrer führen uns selbst
عن المترجمون السورين الأحرار

القانون 47 للعام 2001 المتضمن تعديل قانون الغش والتدليس

■ ياسر مرزوق

يتضمن القانون رقم 47 تعديل المواد /7/ 10/ 11/ 12/ 14/ 16/ 18/ 23/ من قانون قمع الغش والتدليس رقم /158/ لعام /1960/.

حيث تضمن التعديل أنه يحدد بقرار من وزير التموين والتجارة الداخلية المخابر المعتمدة لاختبار عينات المواد والسلع الموضوعة بالاستهلاك المحلي أو المنتجة وتحليلها والمهل اللازمة لبيان نتائج الاختبار والتحليل وأجور الاختبار والتحليل لدى مخابر وزارة التموين والتجارة الداخلية. وتعتبر تقارير هذه المخابر نهائية بالنسبة للمواد سريعة التلف التي تحدد بقرار من وزير التموين والتجارة الداخلية وتعتبر قابلة لإعادة الاختبار أو التحليل وبالنسبة للمواد الأخرى بقرار من الوزير إذا شاب نتيجة الاختبار أو التحليل نقص أو عيب أو غموض أو تناقض في العينة الأولى وللمحكمة أن تقرر إعادة الاختبار أو تحليل العينة الثانية على نفقة المعترض لدى أحد المخابر المعتمدة، و يجب أن يتم الاعتراض وطلب إعادة الاختبار أو التحليل خلال فترة صلاحية العينة الثانية.

كما عاقب القانون بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنة وبغرامة من /2000/ إلى /50000/ ل.س أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من خدع أو شرع في خداع المتعاقد معه بأي طريقة من الطرق الآتية:

1 - في عدد البضاعة أو مقدارها أو مقاسها أو كيلها أو وزنها أو طاقتها أو عيارها.

2 - في ذات البضاعة إذا كان ما سلم منها غير ما تم التعاقد عليه.

3 - في حقيقة البضاعة أو طبيعتها أو صفاتها الجوهرية أو ما تحتويه من عناصر نافعة وعلى العموم العناصر الداخلة في تركيبها.

4 - في نوعها أو أصلها أو مصدرها في الأحوال التي يعتبر فيها النوع أو الأصل أو المصدر سبباً أساسياً للتعاقد بموجب الاتفاق أو العرف.

تزاد العقوبة في جميع الحالات السابقة إلى الحبس لمدة لا تتجاوز السنتين وغرامة لا تتجاوز /100000/ ل.س/ أو إحدى هاتين العقوبتين إذا ارتكبت الجريمة أو شرع في ارتكابها باستعمال طرق أو مقاييس أو مكاييل أو دمغات أو آلات فحص أخرى مزيفة أو مختلفة أو باستعمال طرق أو وسائل من شأنها جعل عملية وزن البضاعة أو قياسها أو كيلها أو فحصها غير صحيحة ولو حصل ذلك قبل إجراء العمليات المذكورة أو عند تعدد المخالفات أو تكرارها.

كما يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى سنة وبغرامة من /5000/ ل.س/ إلى /75000/ ليرة سورية أو بإحدى هاتين العقوبتين:

1 - كل من غش أو شرع في غش شيء من أغذية الإنسان أو الحيوان أو العقاقير الطبية أو الحاصلات الزراعية أو الطبيعية متى كان معداً للبيع وكل من طرح أو عرض للبيع أو باع شيئاً من هذه المواد أو العقاقير أو الحاصلات مع علمه بغشها أو بفسادها ويفترض العلم بالغش والفساد إذا كان المخالف من المشتغلين بالتجارة.

2 - كل من طرح أو عرض للبيع أو باع مواد تستعمل في غش أغذية الإنسان أو الحيوان أو العقاقير أو الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية على وجه يلغي جواز استعمالها وكذلك كل من حرض على استعمالها بوساطة كراسات أو مطبوعات من أي نوع كان، وتكون العقوبة بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات وغرامة من /50000/ إلى /150000/ ل.س إذا كانت المواد أو العقاقير أو الحاصلات المغشوشة أو الفاسدة أو كانت المواد التي تستعمل في الغش حسب الجرائم المشار إليها في الفقرتين السابقتين ضارة بصحة الإنسان أو الحيوان أو كانت سامة حتى لو كان المشتري أو المستهلك عالما بغش البضاعة أو فسادها علما أن أحكام هذه المادة لا تسري في حالة الثمار الطرية المختمرة.

وبالحبس من شهر إلى ثلاثة أشهر وبغرامة من /3000/ إلى /75000/ أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من حاز بغير سبب مشروع شيئا من المواد أو العقاقير الطبية أو الحاصلات المشار إليها في المادة السابقة مع علمه بذلك.

وتكون العقوبة بالحبس لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وغرامة لا تقل عن /75000/ ل.س إذا كانت هذه المواد أو العقاقير أو الحاصلات ضارة بصحة الإنسان أو الحيوان.

هذا ويجوز بقرار من وزير التموين والتجارة الداخلية فرض حد أدنى أو حد معين من العناصر في المواد المستعملة في غذاء الإنسان أو الحيوان أو في تركيب العقاقير الطبية أو في المواد المعدة للبيع باسم معين أو في أي بضاعة أو منتجات أخرى وله كذلك حظر الاستيراد أو التصدير للمواد المركبة أو المصنوعة أو المنتجة المخالفة لهذه الأحكام ويعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنة وبغرامة من /3000/ إلى /75000/ ل.س أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من صنع منتوجات معدة للبيع باسم معين تخالف العناصر التي يجب أن تدخل في تركيبها أو باع مثل هذه المنتوجات أو عرضها للبيع أو حازها بقصد البيع أو وضع بياناً عليها غير مطابق للحقيقة.

وإذا كان مقدار المنتجات أو قياسها أو كيلها أو طاقتها أو وزنها أو مصدرها أو طريقة صنعها أو العناصر الداخلة في تركيبها من العوامل التي لها دخل في تقدير قيمتها جاز بقرار من وزير التموين والتجارة الداخلية منع بيعها أو عرضها للبيع أو حيازتها بقصد البيع ما لم ترفق ببيانات بأوصافها وتركيبها ويحدد في القرار أشكال هذه البيانات وأوصافها.

تشهر خلاصة الأحكام التي تصدر بالإدانة في الجرائم التي ترتكب بالمخالفة بأحكام هذا القانون طبقاً للنماذج التي تعدها وزارة التموين بتعليقها على واجهة محل التجارة أو المعمل أو المستودع مكتوبة بحروف كبيرة وذلك لمدة تعادل مدة الحبس المحكوم بها ولمدة شهر إذا كان الحكم بالغرامة. و يجوز للمحكمة أن تأمر بنشر ملخص الحكم في جريدة أو جريدتين ويجب عليها ذلك في حالة التكرار.

يحدد وزير التموين والتجارة الداخلية بقرار منه كيفية التصرف بالمصادرات في ضوء الحكم الصادر بشأنها، و توزع قيم المصادرات الناتجة عن مخالفة أحكام هذا القانون وفقا لما يلي:

للخزينة /60/ بالمائة.

للمصادرين /20/ بالمائة.

للمخبرين /9/ بالمائة / وفي حال عدم وجود مخبرين تعود حصتهم للخزينة.

لأمين المستودع /1/ بالمائة.

للعاملين في وزارة التموين والتجارة الداخلية/ 10/ بالمائة.

وإذا قبض على الفاعل بالجرم المشهود أو كانت المخالفة تتعلق بالسلع الأساسية التي يصدر قرار بتحديدها من وزير التموين والتجارة الداخلية جاز لرجال الضابطة العدلية التموينية إغلاق المحل إدارياً لمدة ثلاثة أيام على أن يعرض الموضوع على الوزير خلال هذه المدة لاتخاذ القرار اللازم أما بفتح المحل أو الاستمرار في إغلاقه لمدة لا تتجاوز شهراً وتنتهي حتماً بصدور قرار قضائي.

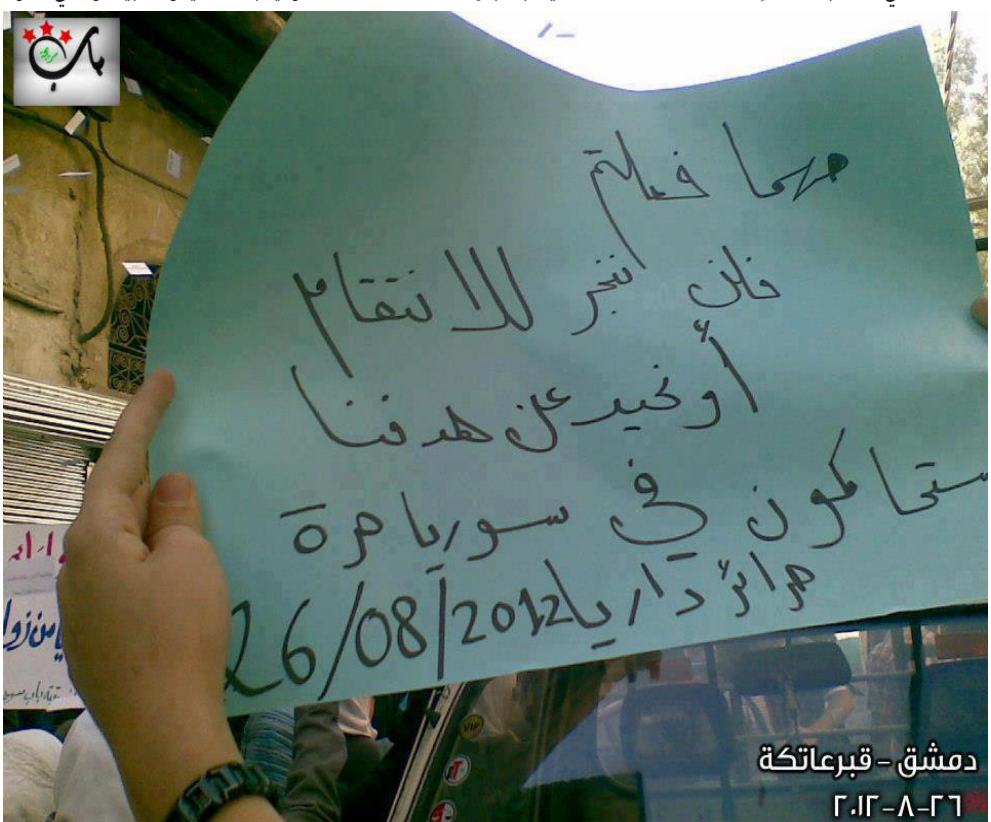

رأي قانوني فيما يخص الإساءة للأديان
القانون الدولي بين حرية التعبير و نقد الأديان

■ د. نائل جرجس

يحتدم الصراع في المحافل الدولية وعلى المستوى الإقليمي والوطني بين أنصار حرية التعبير من جهة وبين المناهضين للحملة الأخيرة المتعلقة بالتشهير بالأديان وخاصة الإسلام من جهة أخرى. فقد أثار الفيلم الأخير المسيء للرسول ومن قبله الرسوم و فيلم فتنة جدل كبير في الأوساط الشعبية و الفكرية لم يُحسم حتى هذا الوقت.

فبينما يبرر أنصار حرية التعبير الحق في نقد الأديان بمقتضى المادة 19 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذي تمّ التصديق عليه من قبل أغلب الدول في العالم بما فيها الدول العربية، وبذلك فهو يعدّ معاهدة إلزامية وذات قوة قضائية لهذه الدول. حيث تنص المادة 19 على الآتي: (-1 لكل إنسان حق في اعتناق أراء دون مضايقة. -2 لكل إنسان حق في حرية التعبير.

ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب أو بأية وسيلة أخرى يختارها). و لا يجوز تقييد هذا الحق، بحسب الفقرة الثالثة من نفس المادة، إلا لأسباب محددة بنص القانون، وضرورة احترام حقوق الآخرين أو سمعتهم، لحماية الأمن القومي، النظام العام، الصحة العامة أو الآداب العامة. وبالتالي فان حظر نقد الأديان بمقتضى هذه المادة يمكن أن يشكل خرق لمبدأ حرية التعبير.

أما المعارضون لأنصار التيار السابق فيحرمون نقد الأديان استناداً إلى المادة 20 من نفس العهد التي تنص في فقرتها الثانية على أن (تحظر بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضا على التمييز أو العداوة أو العنف).

ويستنتج من نص هذه المادة بأن الدول الموقعة على العهد، تلتزم بوضع قانون داخلي يحظر ما ورد ذكره من إعلان و دعوة إلى الكراهية، وهو ما يمارس بواسطة التعبير عن الرأي.

ومن هنا يتبين لنا الصلة بين المادتين المذكورتين من العهد وبالتالي الصلة بين حرية التعبير ونقد الأديان. ولا يخف بأن العلاقة غير واضحة وشائكة بين هذين المفهومين ففي حينا يرى أنصار المادة 19 المذكورة أعلاه أن حرية التعبير هي مفهوم مطلق لا يمكن تقييده عندما يتعلق الأمر بنقد الأديان، يرى أنصار المادة 20 من ناحية أخرى أن تفسير التقييد المنصوص عليها بالمادة 19 بمفهوم واسع يؤدي إلى الحد من حرية التعبير.

في المقابل، يجد أنصار حرية التعبير وهم يفسرون المادة 20 بمفهوم ضيق، أن نقد الأديان لا يمكن أن يدرج تحت بند المادة 20 والمتعلق بالدعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية التي تشكل تحريضا على التمييز أو العداوة أو العنف.

فالأمران بالنسبة لهم مختلفان تماما حيث أن نقد الأديان، بما في ذلك الرسوم والأفلام المسيئة للرسول، تختلف تماما عن الدعوة إلى الكراهية الدينية. كما أنهم يضيفون بأن حقوق الإنسان تهدف بالأساس إلى حماية الحقوق الأساسية للإنسان، والدين بحد ذاته لا يتمتع بالحماية المنصوص عليه بمقتضى هذه الحقوق، وبالتالي فان حقوق الإنسان لا يمكن أن تشتمل على منع تشويه الأديان أو نقدها، بل يمكن أن تتدخل فقط في حال التمييز ضد أتباع دين معين.

كما أن هذا الالتباس في تفسير مواثيق حقوق الإنسان لم يبق في حيزه الضيق للمعارضين والمؤيدين لحرية التعبير، فقد امتدّ ليعرض على أبرز المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية التي انقسمت أيضا بين مؤيد ومعارض.

فوزارة الخارجية الأميركية، ترى أن تقييد حرية التعبير في هذا المجال لا يؤدي إلى حماية الممارسة الدينية، بل على العكس من ذلك، حيث أن مفهوم التشهير بالأديان هو مفهوم شائب يحدّ من الحرية الدينية ويقيد حقوق جميع الأفراد في الاختلاف مع الدين أو انتقاده. فقد جاء في التقرير السنوي لوزارة الخارجية الأميركية المتعلق بأوضاع الحرية الدينية في العالم والصادر في أيلول/سبتمبر 2008 ما يلي: (يستخدم هذا المفهوم أيضا من جانب بعض الحكومات لتبرير أعمالها التي تقضي بصورة انتقائية على المعارضة المدنية، والتي توقف انتقاد الهيكليات السياسية، وتقيد الخطاب الديني لجماعات الأقليات، والدينية للأفراد المعارضين الذين ينتمون إلى دين الغالبية ولأشخاص لا ينتمون إلى أي دين. إن إدخال مفهوم التشهير يسعى في الواقع إلى تصدير قوانين الكفر الموجودة في العديد من دول منظمة المؤتمر الإسلامي إلى المستوى الدولي. وفي حين أن الولايات المتحدة لا تشجع الأعمال التي تسيء إلى تقاليد دينية معينة، بما في ذلك الإسلام، فإنها تعتبر أن مفهوم "التشهير بالأديان" يتناقض مع حرية الدين وحرية التعبير وستؤدي مقاربة منظمة المؤتمر الإسلامي إلى إضعاف القوانين الدولية المتعلقة بحماية الحرية الدينية، ومن ضمنها قوانين حماية السكان المسلمين الذين يشكلون أقلية).

كما و يرى مراقبون في هذا المجال أن الكراهية والتمييز ضد أتباع دين معين لا تنتج بالضرورة التشهير بدينهم، بل يعزون ذلك إلى أسباب أخرى، ويضيفون بأن الكراهية والتمييز ضد أتباع الديانات المختلفة قد وجدت قبل أن تبدأ الحملات الأخيرة المتعلقة بالتشهير بالأديان. ويبدو بأن المقرر الخاص بالأمم المتحدة المتعلق بحرية الرأي و التعبير يؤيد هذا الاتجاه، حيث جاء في تقريره الصادر في 2008 بأن حرية التعبير لا يمكن أن تُقيد من أجل حماية المعتقدات الدينية بل فقط لأجل حماية حقوق أخرى للإنسان كما و قد أعرب عن قلقه إزاء إغلاق العديد من الصحف ومواقع الانترنت نتيجة لانتقادها لسياسات حكومية ودينية معينة.

أما الاتحاد الإنساني والأخلاقي الدولي، فقد حث الأمم المتحدة بإعادة النظر في قراراتها الداعية لمحاربة التشهير بالأديان لما لها من أثر في تقييد حرية التعبير. فقد عبر الاتحاد عن قلقه الكبير إزاء إمكانية لجوء السلطات الحكومية لمثل هذه القرارات لتبرير قمع الآراء التي لا تتناسب مع سياساتهم و إلغاء الحقوق الأساسية الأخرى. وكانت الأمم المتحدة قد أصدرت العديد من القرارات التي تسمح بتقييد حرية التعبير من أجل ضمان احترام الأديان إلى أن رفض مجلس حقوق الإنسان إقرار مفهوم التشهير بالأديان في جلسته المعقودة في 18 سبتمبر 2008. فقد صرح السيد جيثو مويجاي، المقرر الخاص المعني بموضوع الأشكال المعاصرة من العنصرية وإرهاب الأجانب والتعصب، بأن التشريعات الحالية الخاصة بالحث على الكراهية العرقية والدينية كافية ولذلك فانه ليس من الضروري ترسيخ التشهير بالأديان كمفهوم جديد. ولابدّ من الذكر بأن الجهود المكثفة للمدافعين عن حرية التعبير، وخاصة منظمة المادة 19 و مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان الذين قاموا بعقد مؤتمر قبل الجلسة المذكورة، حيث نددوا من خلالها بالقرارات المتعلقة بالتشهير بالأديان، والتي كان له أثر في موقف مجلس حقوق الإنسان.

وفي النهاية، لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار لما لحرية التعبير من أهمية في بناء المجتمع الديمقراطي و لما لنقض التشريعات الدينية المتعارضة مع حقوق الإنسان من دور في استبدالها، هذا وبالإضافة إلى الفائدة المرجوة من هكذا نقد للانتقال من المجتمعات الدينية إلى المدنية العلمانية الديمقراطية. ولكن في المقابل، لابدّ من الذكر بأن التشهير بالأديان يمكن أن يؤثر بشكل أو بآخر على التعايش بين أتباع الديانات المختلفة وخاصة على وضع الأقليات الدينية في المجتمعات الشرقية والغربية. كما أن التعميم و أظهار جميع الأشخاص المنتمين إلى دين معين بمظهر الرافض للتعايش وتقبل الآخر هي فكرة مغلوطة، حيث يوجد متعصبون ينتمون إلى جميع الطوائف والأديان كما يوجد في المقابل مناضلون من نفس هذه الطوائف والأديان من أجل الحوار والعيش المشترك والدفاع عن حقوق الأقليات المنتمية إلى غير دينهم. ولذلك لابدّ من أن يكون النقد بنّاء بشكل يؤدي إلى تأصيل فكرة الإيمان الداخلي الذي لا يتجاوز العلاقة بين الإنسان وربه، وكل ما خرج عن ذلك يؤدي إلى انتهاك حرية الآخرين.

في الحقيقة إن حرية الدين والاعتقاد ترتبط بشكل وثيق بحرية التعبير، حيث أن الحرية الدينية تشتمل على حق كل شخص بتغيير ديانته أو عقيدته، وحريته في التعبير عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر بشكل سري أو علني، هذا وبالإضافة إلى حرية كتابة و نشر الصحف و غير ذلك من الأمور المتعلقة بالمعتقدات الدينية. و لذلك فان الحرية الدينية تستتبع حرية التعبير و كلتاهما يشكل صلب حقوق الإنسان كما أكدته ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حيث جاء فيها أن غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة.

حوار مع جيفري وايت

المحلل العسكري المتخصص بالشؤون السورية في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط

■ ريما مروش – أنطاكيا

يعمل جيفري وايت كمحلل عسكري متخصص بالشؤون السورية في معهد واشنطون لسياسة الشرق الأوسط، وهي مؤسسة مهمتها تقديم اقتراحات لواشنطن بما يخص السياسة الأميركية في المنطقة.

| السؤال الذي يطرحه الكثير من السوريين لأنفسهم هو لماذا لا يوجد هناك تدخل أو مساعدة بالدرجة المطلوبة للسوريين. لماذا الولايات المتحدة تعمل وتهتم بشكل متواضع بالشأن السوري. هناك شعور عام بخيبة أمل. السوريين يقولون أنه لو كان لديهم النفط مثل ليبيا لكان الجميع قد تدخل ومنذ بداية الأزمة.

|| لا أظن أن الموضوع متعلق بالنفط. لا أظن أن موضوع النفط يتطبق هنا. عدم رغبة الولايات المتحدة بالانخراط في سورية متعلق بعدم فهم الموضوع بوضوح والشعور بالمجهول بالشك مما يحصل في سورية. بالإضافة إلى أن الإدارة الأميركية تحاول أن تخرج البلاد من حربين تخوضهما في المنطقة وليست لديها الرغبة بالانخراط في حرب ثالثة. أظن أن هذه المجموعة من العوامل تقيد الولايات المتحدة، ولا أظن أن هناك أي سر أو مؤامرة. أظن أن الموضوع بهذه البساطة.

| البعض يقولون أن الموضوع متعلق بأزمة اقتصاد الولايات المتحدة، بمعنى أنه ليست لديها القدرة على خوض حرب ثالثة.

|| لا أظن أن الموضوع له علاقة باقتصاد الولايات المتحدة. اقتصادنا قوي وإذا اتخذ رئيس الولايات المتحدة ومستشاريه القرار، فهناك الإمكانيات لفعل ذلك.

| هل يتعلق الموضوع أيضاً بحرب العراق، حيث أنه لا رغبة للولايات المتحدة بخوض حرب أخرى بعد حرب العراق؟

|| طبعاً. ليست هناك رغبة بالانخراط بالمعنى العسكري، ولا أقصد هنا المعنى السياسي، الثقافي، أو الاقتصادي، أتكلم عن الانخراط العسكري. أظن أن التدخل الليبي كان أحد آخر تدخلاتنا العسكرية لفترة طويلة قادمة. هناك الشعور أنه ليس هناك الحاجة أن نخوض أكثر من ذلك في ما يتعلق بهذا النوع من التدخلات.

| هل هناك شعور أن التدخل في ليبيا كان خطأ؟

|| لا أظن. الكثير من الناس وبعضهم في الإدارة يقيمون الوضع كنتيجة إيجابية واستخدام صحيح للقوة العسكرية للولايات المتحدة. لم ندر العملية ولكننا قدمنا مساهمات مهمة للعملية، ساعدنا ولكن لم نقم بجميع المعارك أو القصف.

| كيف تقيم الجيش السوري الحر؟

|| أظنهم يزدادون قوة مع الوقت. وسيكونون حتى أقوى في الأيام القادمة. أعدادهم تزداد وهم يصبحون فاعلين أكثر بالمعنى العسكري. هم الآن أفضل من حيث القيادة والسيطرة، نوعية الأسلحة، التنظيم ، التجارب القتالية أفضل أيضاً. وهم يتحلون بالإرادة للقتال.

| ذكرت سابقاً أنه من الممكن أن يكون هناك خطوات بسيطة من قبل الإدارة الأميركية لمساعدة الثوار. ما هي هذه الخطوات؟

|| ليس من الضرورة أن نتكلم عن تدخل كامل ومباشر. هناك عدة خطوات تستطيع الولايات المتحدة والآخرون اتخاذها لمساعدة الجيش الحر. نستطيع تقديم دروع، معدات رؤية ليلية، معدات اتصالات آمنة عسكرية وأيضاً قدرات طبية أفضل.، كل هذا هو دعم غير قتالي وبرأيي هذا هو الحد الأدنى للمساعدة وهو يتوافق مع أهدافنا. ونحن نستطيع تقديم أكثر من ذلك، على سبيل المثال أسلحة نوعية متعددة، ومضادات دروع، مضادات طيران، للهجوم على قواعد عسكرية جوية. هناك مجموعة من الأمور نستطيع اتخاذها، كما نستطيع تقديم تدريبات عن كيفية القتال.

| هل لديك تخوف من بدء اقتتال داخلي في صفوف الجيش الحر والثوار؟

|| هذا محتمل. مشكلة هذه الحرب أنها تستغرق وقتاً طويلاً وهذا يمكن أن يتسبب في ظهور مشاكل عدة من بينها معارك بين صفوف الثوار لأسباب إيديولوجية، بسبب السلاح، أو الصراع للسيطرة على منطقة ما، وأيضاً انتشار إسلاميين جهاديين سلفيين وهذا الموضوع قد بدأ فعلاً على الأرض. الأعداد في تزايد، الجميع يوسع انخراطه. لا أؤمن بأنهم (الجهاديون) قوة مهيمنة على الأرض حالياً ولكنها ستصبح أقوى. المعارك للسيطرة على منطقة، هي شيء منطقي وطبيعي في الحروب ويجب أن نكون منتبهين لهذا الموضوع. كلما طال أمد الحرب، كلما هناك احتمال أكبر لحصول هذه الأمور.

| ما هي نصائحك للثوار؟ أنت تحضر الكثير من "الفيديوهات" للثوار ولديك معلومات كبيرة عنهم.

|| عليهم أن يتعاونوا مع بعضهم البعض بأسلوب حتى أفضل مما هو عليه الآن. الثوار تعلموا التنسيق ولكنهم بحاجة إلى إستراتيجية كاملة تشمل كل الوطن. العناصر في حلب يجب أن يتعاونوا مع العناصر في إدلب، وكذلك العناصر في درعا عليهم التعاون مع العناصر في دمشق. يجب أن تتم مهاجمة الجيش النظامي بشكل أوسع على نطاق البلد بأكمله وبذلك لا تعطي عمليات ونشاط الجيش الحر النظام فرصة أن يركز فقط على مكان واحد في الهجوم. إدلب يجب أن تنهض عندما تنهض دمشق وحلب لكي تكون محاولات النظام للسيطرة على المناطق منقسمة. وهذا يتطلب مستوىً رفيعاً من التنسيق والتعاون على مستوى الوطن بكامله. نحن الآن نرى جزءاً من هذا (إدلب تساعد حلب). الجيش الحر يجب أن يفكر ويعمل بهذا الإطار ويجب أن يخلقوا القدرات على القيادة والسيطرة.

| وما الذي يجب على الولايات المتحدة فعله مع المعارضة السياسية؟ ما هي نصائحك لهم؟

|| المعارضة في داخل سورية يجب أن تتوحد. يجب أن

تكون فعالة أكثر، أن تكون أقرب للجيش الحر وأن تبني علاقات قوية معه. لأننا نرى نمو قوة إقليمية قوية – الجيش الحر –في الشرق، دير الزور، وفي إدلب. وحتى إن لم يكن لديهم طموح سياسي فسوف يكون لهم نفوذ (قوة) سياسية. سيكون لهم سيطرة على أراضي وسينظر إليهم كأشخاص فازوا بحرب. المعارضة السياسية تجازف على أن تصبح مهمشة بسبب الواقع على الأرض، عندما ستملك الجهة العسكرية السيطرة على الأرض وسيرجع الأمر لهم أن يوافقوا على أي نشاط لأية جهة سياسية. الجزآن السياسي والعسكري يجب أن يأتيا مع بعضهما البعض، وعليهما أن يتوحدا ويتعاونا. المعارضة السورية في الخارج أصبحت بدون أهمية. ويجب عليهم أن يقوموا بفعل ما كي يعودوا إلى اللعبة. يجب أن يستعيدوا أهميتهم بالنسبة للناس في الداخل. فقرارات الحرب تتخذ داخل البلد والمعارضة السياسية موجودة في باريس، واشنطن، وهم يعيشون بشكل جيد في الكثير من هذه الأماكن بينما السوريون يموتون يومياً وهم يحاربون ويخاطرون بحياتهم. هؤلاء الأشخاص، المعارضة الخارجية، يجب أن ينخرطوا أكثر في الثورة والأهم أن يكونوا مفيدين وأن يقدموا أشياء ملموسة، أن يتخذوا خطوات فعالة على الأرض داخل سورية وليس فقط في اسطنبول أو واشنطن.

| سترجع قريباً إلى واشنطن. ما هي التوصيات التي ستقدمها هناك؟

| | توصياتي ستكون أن يتم تعزيز المساعدات للجيش الحر. أن يتم العثور على أشخاص من الجيش السوري الحر تشعر الولايات المتحدة بالثقة بالعمل معهم. يجب علينا أن نتواصل مع الأشخاص الذين يقاتلون على الأرض وأن نعرف ما هي حاجاتهم. أن نعرف من هم بالضبط وأن يتم تحديد الأشخاص والمجموعات الفعالة على الأرض والتي تملك القدرات الحقيقية وليست ما أسميه "كتائب على الفيسبوك".

| ذكرت أيضاً في حديث سابق أن الولايات المتحدة كان من المفروض أن تكون هنا منذ سنة لتتعرف على الأشخاص الذين من المحتمل التعامل معهم. قلت أن نتأخر أفضل من ألا نصل أبداً وتحدثت أيضاً عن أن هناك قادة مجموعات لهم تاريخ قتالي جيد.

| | نعم، لا نريد أن نعطي أسلحة لأشخاص سيحاولون دفع أجندة سياسية معينة لا نريد العيش معها. هناك أشخاص نفضلهم عن آخرين، هناك أهداف سياسية نفضلها عن أخرى وهي أقرب لنا. نريد أن نحدد هؤلاء الأشخاص وأن نحدد مجموعات فعالة في المعركة ولها تاريخ قتالي جيد، لها قيادة عسكرية جيدة وتسيطر على أماكن محددة، تعرف كيف تستخدم السلاح وتكون فعالة. ليس لكل المجموعات نفس الفعالية. البعض منهم جيد والبعض الآخر لهم تاريخ حقيقي في خوض المعارك.

| كم من الوقت سيستغرق الموضوع (الحرب في سورية)؟

| | أظن أننا سنعرف خلال 4-6 أشهر ما هو اتجاه الحرب، سواء كان لصالح النظام أم الثوار. أظن أنه خلال 4-6 أشهر سنعرف أن الحرب لصالح الثوار وأن الثوار سينتصرون بها. من الصعب وضع تاريخ محدد، متى بالضبط سيحصل هذا. من الممكن أن تستمر 8 أشهر ولكن أيضاً بظروف معينة يمكن أن ينهار النظام بسرعة كبيرة.

| وأحد العوامل هو انهيار مؤسسة الجيش؟

| | أظن أن الموضوع الحاسم هو الجيش السوري وخصوصاً المشاة. عندما تنهار، النظام سيسقط. كيف ستنهار، هل كلهم بوقت واحد، أو جزءاً بعد جزء، هذا غير واضح حتى الآن. عندما لا يكون الجيش فعالا لا يستطيع محاربة الثوار وستكون هذه نهاية النظام.

| ما هي مشاكل الجيش النظامي التي تراها؟

| | هناك استنزاف كبير. كل يوم هناك على الأقل 40 قتيل من صفوف الجيش النظامي وعدد أكبر من ذلك بأربع مرات من الجرحى. يفقدون أيضاً أشخاصاً بسبب الانشقاقات. البعض ينضم للجيش الحر والآخرون يعودون إلى بيوتهم. كل يوم هناك أشخاص يتركون الجيش. بعد رحيل كل جندي أو ضابط هناك ثغرات في الجيش لا يمكن ترميمها. هناك الكثير من الثغرات الآن في الجيش.

هناك أيضا ما أسميه انشقاق نفسي. الأشخاص لا يزالون في الجيش وعلى رأس عملهم ولكنهم ليسوا فعالين بعملهم أو حتى أنهم يعملون ضد النظام أو يتعاونون مع الثوار. وأيضاً هناك وحدات كاملة لا يثق بها النظام. ولذلك يأخذ النظام منهم الأسلحة أو لا يستخدمهم خلال العمليات. هذه المجموعة من العوامل تعمل ضد صالح قدرات الجيش. أيضاً الجيش يحارب في كل مكان: في شمال وجنوب وشرق وغرب البلاد. ليس هناك مكان يمكن أن يعتبره الجيش آمناً. المعارك أيضاً بدأت من جديد في اللاذقية. وهذا يفرض على النظام توزيع قواته في كل مكان. الجيش السوري يفتقر أيضاً إلى قوات المشاة. لم يتم بناء الجيش السوري على المشاة بل تم بناؤه على وحدات ثقيلة، دبابات، مشاة آلية ولذلك اعتمد النظام على الشبيحة، ولذلك نسمع عن إنشاء ميليشيات لأن النظام بحاجة إلى مشاة للقتال في المدن. هذا ليس جيشاً صمم للقتال في المدن.

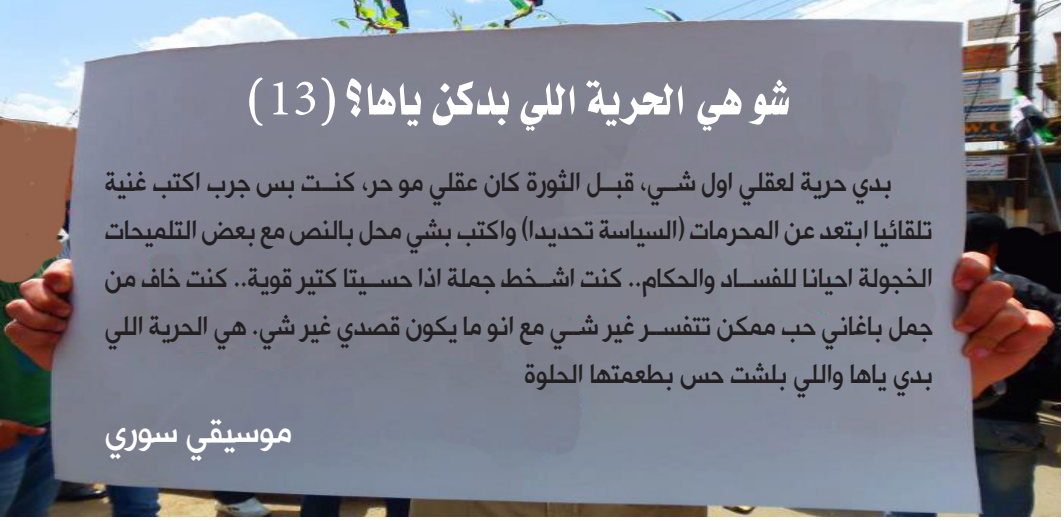

هالة العبد الله

يا ترى اللى كانوا عم يتنبأولنا بكل ثقة بمستقبل سلفي، ما سألوا حالهم ليش ما طلعت مظاهرات بسوريا أول الشي وقبل الجميع متل اللي عم يصير بدول الربيع العربي؟

عاصم حمشو

اليوم وأنا في بلد اعتبرها متحف بشري يجول في شوارعها كل تشكيلات ومكونات وألوان وانتماءات البشرية.. أضع علم الثورة على حقيبتي وفي كل الأمكنة التي اسأل بها من أين أنا أجاوب بكل فخر ورفعة رأس أنّا ابن سوريا الحرة، وأشعر أنني املك كل الامتيازات التي ترقيني عن البشر فقط لأنني سوري..

ندى صبح

كلّما سقط شهيد ولدت موجة.. كلّما سقط قتيل هبت نسمة.. الشهداء يبتكرون بحارا ورياحا جديدة..

ناهد بدوية

هزيمتان حلتا بالسوريين.. نالت من وجودهم كشعب.. أول هزيمة عندما تغير دستورهم بربع ساعة، والثانية بدأت في اللحظة التي بدأ جيشهم في قتلهم.. والسوريون الآن يخوضون حرب وجود واستعادة لكينونتهم كشعب..

إياد عماشة

لست مفرط السلمية، لكن عملية إعدام أسرى جيش النظام اليوم في حلب، هي عملية إجرامية بكل المقاييس، لا نقاش في عمليّة قتل حدثت بدم بارد. عندما خرج السوريون ضد هذا النظام، خرجوا بسبب ما ارتكبه من ألم وقتل وإجرام بحق السوريين، لا تكونوا كالنظام. ليس هناك من هو مخول باتخاذ قرار قتل أي شخص آخر، ولا حتى القانون.

جمال أبا زيد

ليس مهماً أن يراك الوطن.. المهم أن يشعر بك..

أيهم باريش

ليس الخريف من أتى مبكراً.. وإنما قذيفة في الفجر..

عهد زرزور

أي إنسان على وجه الكرة الأرضية مهما كان دينه وتوجهه وبلده وعرقه وقوميته لم يشغله ما يحدث للشعب السوري الآن، فهو شخص مشكوك في إنسانيته وضميره وأخلاقه وسلامة عقله قولاً واحداً..

علي الأتاسي

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.. مبروك لعمر أميرالاي طلعة عروة نيربية..

موفق نيربية

هالفيسبوك اختراع ممتاز بس منيح اللي ما فيه تقديم حلويات.. بيقدر الواحد يتقبل التهاني.. من دون ما يتحمل كلفة الضيافة..

يامن حسن

ونحنا اللي منحط حنفيات مي بالشوارع ومنسميها سبيل ليشرب العطشانين.. كيف فينا ما ننتصر؟

ديانا الجابري

اغسلي عارك الآن يا ليبيا الثورة، أعيدي أحمر الشفاه والكحل العربي للعيون النجل، ارفعي هامتك عاليا.. لن يمرغوها بالوحل بعد أن عرفت نسيم الحرية العليل، أمسكي المجداف من جديد ولا تتركي السفن نهبا للعواصف والموج، هذه الصحراء التي ضجت بدماء الشهداء ودموع الثكالى لن تترك النخل للريح واللصوص.. حاكموا اليوم وليس غدا الجناة والمتآمرين، أبهروا العالم بسلمكم كما أبهرتموه بثورتكم..

سنا يازجي

اللّه يلعنك يا مؤامرة شو طلعتي بنت كلب.. الصحفية الفرنسية الفرتوكة تلهث لتجد عائلات مسيحية "مطرودة" من بلدها لتتحدث عن مأساتها.. قلت بنفسي «يا حسنة مع مين عم تلعقي» وي مدام، خبرينا شوي قبل ما نلتقي.. من الآخر يا مادوموازيل.. أنا سورية مسيحية.. بدي حقوقي وبدي حرية.. وهالعالم كلها مثلي... لمْ تعاود الاتصال.

تمام عزام

كنا نبحث مطولاً عن أسماء لأبنائنا وبناتنا.. وهل هنالك اسم لابنة قادمة أجمل من (درعا) ؟!

فؤاد حميرة

أنا فؤاد حميرة.. من مواطني الجمهورية السورية.. أعلن انشقاقي عن روحي السلمية.. وانضمامي لقلبي المقاتل المسلح.. وهذه هويتي.. إلخ

دلشاد عثمان

هاد إلي عم يتفزلك ويقول يله انزل اعمل كتيبة علمانية لشوف! حبيبي خياري من البداية كان الكفاح السلمي!! وأنت اخترت التسليح!! هاد خيارك وخياري بعدو إلي ملكي ومؤمن فيه نقطة انتهى!

أديب شيشكلي

بلغ عمر مخاض الحرية اليوم 18 شهرا بتكلفة أكثر من 32000 شهيد، 60000 مفقود، 100000 جريح، 200000 تعرضوا للاعتقال، 250000 لاجئ و3 ملايين بحاجة لمساعدة داخل الوطن. حرية سوريا باهظة الثمن ولكن سوريا الوطن أثمن.

ميخائيل سعد

هل يعرف بابا الفاتيكان، الذي طلب منع توريد السلاح إلى سوريا، أن الأسد يستعمل راجمات الصواريخ والدبابات والطائرات الحربية ومدفعية الميدان ومدفعية الهاون، من اجل نشر السلام بين السوريين..

ماجد كيالي

من يتحدثون عن البوصلة اليوم يتذاكون، أو يظنون انهم يتذاكون، فنظام الأسد منذ أكثر من أربعة عقود بات مؤشر البوصلة عنده «سورية الأسد إلى الأبد».. هكذا تحولت سورية إلى مزرعة خاصة، وهكذا تم تقويض الدولة، وتهميش المجتمع، وهكذا حكم السوريون بأجهزة الأمن، وهكذا تم تحطيم الجيش وسلبه عقيدته الوطنية، لصالح فرق عسكرية خاصة، وهكذا بات مؤشر البوصلة مثل مؤشر البورصة في عهد بشار الأسد.. وهذا هو معنى شعار «الأسد أو نحرق البلد»..

آية الأتاسي

لطالما تساءلت من أي طينة خلق هذا الطيار الذي يضغط على الزناد ويقتل شعبه ويهدم مدينته.. وهل ينتمي لفصيلة البشر ذلك القناص الذي يصوب بندقيته على رؤوس الأطفال وبطون الأمهات.. وذلك السجان الذي يعذب السجين بيد ويشتري الحلوى باليد أخرى لطفلته.. كيف عشنا على نفس الأرض ولفحتنا نفس الشمس ومر علينا نفس الهواء وسهرنا على ضوء قمر واحد.. كيف حملنا هوية سورية واحدة.. كيف؟؟

البارحة سمعت أبوعلي.. الجندي القادم من هناك والذي كان يقتل هنا.. أبوعلي كان يودع نفس الأرض ويبكي نفس الدموع وهو يتصل بأم علي.. لحظة النهاية لم يستطع أن يغادر وحيدا.. اتصل بأم علي وأخبرها أنها قلبه وروحه ووصاها على الأولاد.. ربما الشهيد الذي أصابته بندقية أبو علي لم يجد الوقت ليودع زوجته ويوصيها على الأولاد.. ربما لم يجد قبر يستر موته.. وأهل يتعرفون على جثته ووفاق يخرجون في جنازته..

لماذا مات أبوعلي وباسم من قتل أبو علي؟

لم يكسب شيئاً ولم يحميه أحد.. انتهى كرقم.. وبقي الطاغية جالساً على كرسيه فوق جثث ضحاياه..

لم يربح أبوعلي ولم تربح الطائفة ولم يربح الوطن.. فباسم من ولأجل من تقتلون أبناء هذا الوطن!!!!!!

هي معركة السفاح وحده وقودها أبو علي ومن قتلهم ببندقيته..

إنها معركة بقاء الطاغية على حساب البلد والشمس والهواء والأرض والحيوان والجماد والبشر..

بحفل تسليم الجنسية الفرنسية من سنتين ونص.. رحت وأنا متوجسة من انو رح يكون شكلي وربما مزعج.. وشوي فوقي ما بعرف ليش هيك فكرت وقتها.. المفاجأة كانت العكس.. حسيت أني فعلا فرنسية.. حفاوة الترحيب والفخر اللي حسيت فيه كان نابع من فخر الفرنسيين بكل الناس اللي ساهموا بما هي عليه فرنسا الآن.. يمكن تقولوا مجرد بيع حكي ويمكن تقولوا كمان دعاية.. أو مو كل الفرنسيين هيك بيحسو..

أنا من تمن سنين لليوم ومنذ دخولي لفرنسا بحياتي ما شعرت غير أني مواطنة كاملة الحقوق.. وما تمارس ضدي أي تمييز عنصري بسبب اختلافي أو بسبب جنسيتي أبداً.. والسبب الأساسي بتخيل أو هيك بحس أني ما كنت أتعامل مع محيطي على أني جاية من دولة تانية أو أني أقل من غيري بشي حتى مع صعوبات اللغة بالبداية ولهلأ.. بصراحة أكتر.. ينقهر بس شوف كيف بتتعامل مع بعض بإقصاء وكيف بنهمش حريات بعض بسوريا لهلأ وحتى بين الثوار.. وما بتمنى لسوريا غير بيوم من الأيام ترفع راسها وتقول لأي مواطن أو ضيف بدها تمنحو الجنسية غير نفس الجملة اللي نقالتلي وقت سلموني الهوية الفرنسية:

سوريا بترحب فيك وبتقلك انته واللي سبقوك اختلافاتكن والوانكن ومذاهبكن وثقافاتكن.. هي اللي خلت بلدنا غني متل ماهو غني هلأ ونحنا فخورين فيك وبتمنى تفخر فينا كمان..

شام داود

الحقيقة أننا لم نعد نشبه أنفسنا كما اعتدنا عليها منذ زمن طويل. أينما كنا.. وأينما حللنا لا فرق.. هي النهارات ذاتها.. الأحاديث ذاتها.. نبحث عنّا في كل الاحتمالات كي نتلاقى وننبش وجعنا. نكرر مشاهد كنا غريبين عنها: عندما كانت دمشق تزخر بالعراقيين الهاربين من الحرب وقبلها من صدام، بتجمعاتهم الصغيرة المليئة بالضجيج، وأغانيهم الزاخرة بالنواح.. تكتسي أغانينا شيئاً فشيئاً ذاك النواح الذي يستدرج نوّاحا.. فدموعا.

هل توقفِ موتنا الراقص المليء بالفرح عن الإعلان عالياً عن رفضه؟.. هل توقّفت الديكات التي تحمل الشهداء عاليا ليلامسوا السماء؟.. أحيانا لا نحتاج لأكثر من كلمة كي تبدأ أغنية «سكابا» بفعل فعلها.. وأحيانا أكثر نكتسي الحجر في وجوهنا.. الإحساس بالذنب لأي بادرة فرح ينال من قلب الجميع.. ضحكاتنا تليها رغبة في تبريرها وكأننا نمارس فحشا لا يتناسب مع اللحظة.

رقصنا من يومين مجموعة نالها التعب وتريد أن تتشارك لحظة فرح.. كان اول خاطر لدى أخبثنا نية: سأنشر صوركم واقول هاهم يرقصون على الدماء!!.. وكأن دماءنا لا تنتظر الموت القريب.. يا لقهرنا كم اكتسى نزوعا نحو التوحش.. نريد أن نحيا.. نريد أن نحيا يا رياض صالح الحسين.. فنحن بسطاء كالماء.. مع أنك أعلنت موتك منذ زمن طويل..

خولة دنيا

نشأة معرض دمشق الدولي

■ بلال سلامة

نشأت فكرة المعارض قديماً كوسيلة للتجار كي يروجوا لبضائعهم، حيث لم تكن سوى أسواقاً تجارياً كبيرة تقام سنوياً أو ربما كل سنتين ليلتقي التجار والباعة الوافدون من البلدان المجاورة ليبيعوا ويشتروا البضائع. وظلت هذه الحال تتطور سنة تلو الأخرى حتى أصبحت المعارض على شكلها الحالي.

معرض دمشق الأول:

في تاريخ 12 تشرين الثاني من عام 1927 افتتح في دمشق في منطقة العباسية (مكان صالة 8 آذار اليوم) معرض زراعي لمدة خمسة أيام، رعته وزارة الزراعة والتجارة برئاسة الوزير نصوحي البخاري. اقتصر هذا المعرض على بيع الفواكه والثمار، وشارك فيه حوالي ألف وخمسمائة عارض، أما الزائرون فتجاوز عددهم الأحد عشر ألفاً. واشترك في هذا المعرض إلى جانب سوريا عدد من الدول مثل مصر وإيران وتركيا.

معرض دمشق الثاني:

أقيم المعرض الثاني في 8 حزيران 1928 في مجمع اللغة العربية بالمدرسة العادلية عند باب البريد، وكان هذا المعرض خاصاً بالآثار الشرقية الإسلامية القديمة وبالصناعات الشرقية كالصناعات المعدنية والخشبية والزجاجية. غلب الطابع الدمشقي على هذا المعرض وكان عدد المشاركين فيه 68 عارضاً وعرض فيه قرابة 630 قطعة. حضر هذا المعرض كل من ممثل سلطة الانتداب الفرنسي في سوريا حينها وكذلك رئيس المجمع العلمي العربي محمد كرد علي والذي ألقى كلمة في حفل الافتتاح أشاد فيها بالمعروضات الشرقية الجميلة.

معرض دمشق الثالث:

افتتح المعرض الثالث في آب 1929 في الجامعة السورية. وكان معرضاً للصناعات السورية الوطنية كصناعات النسيج والجلود والدباغة والزجاج والخشب والحلي والطباعة وصناعة الزيوت والصابون وكذلك صناعة السكاكر والمربى والفواكه المجففة.

معرض دمشق الرابع:

أقيم عام 1936 من 31 أيار إلى 12 حزيران في مدرسة التجهيز الأولى. كان مدير المعرض السيد مصطفى الشهابي الذي منحه رئيس الجمهورية السيد محمد علي العابد وسام الاستحقاق السوري تقديراً لجهوده في إدارة المعرض وتنظيمه، كما صدرت عدة منشورات تشيد بهذا المعرض. حضر المعرض إضافة لرئيس الجمهورية، السيد عطا الأيوبي رئيس الوزراء والسيد إدمون حمصي وزير المالية والدكتور سعيد الغزي وزير العدل. ومما يميز هذا المعرض إقامة مباراة في عرض الخيول العربية الأصيلة إضافة إلى مسابقات عديدة نظمتها إدارة المعرض. شارك فيه كل من مصر والعراق والمغرب وفلسطين والهند وتركيا وإيران وأفغانستان. في 22 تشرين الأول 1936 صدر مرسوم رقم 963 ينص على تأليف لجنة من مصطفى الشهابي مدير المعرض، ووكيله عارف النكدي، ورئيس غرفة الصناعة خالد العظم، وجعفر الحسني محافظ المتحف. وذلك من أجل ضمان مشاركة سوريا في المعرض المقام في فرنسا - باريس 1937.

نتيجة لهذه المعارض نمى الإنتاج السوري وازداد حتى أصبحت له مكانته المرموقة في الأسواق العربية والدولية. ومن هنا نشأت عام 1952 فكرة إقامة معرض سنوي دائم في دمشق.

إنشاء معرض دمشق الدولي ودورته الأولى:

في عام 1954 أصبح اسم معرض دمشق "معرض دمشق الدولي"، وأقيمت دورته الأولى في 1 أيلول 1954، وفي أيلول 1955 صدر عن الرئيس شكري القوتلي القانون رقم 40 والذي ينص على إقامة "المديرية العامة لمعرض دمشق"، وكان مقرها في شارع بغداد. وبعدها مباشرة تم نقل الملعب البلدي الكبير ومضمار الخيل من جوار مبنى القشلة في الحميدية ومن جوار التكية السليمانية إلى أرض قريبة من ساحة الأمويين كانت تسمى "المرجة الخضراء" ليصبح اسمها منذ ذلك العام "أرض مدينة معرض دمشق الدولي".

ولا بد أن نذكر هنا أنه في 22 نيسان 1955 حصلت على أرض الملعب البلدي حادثة مؤلمة وهي اغتيال العقيد عدنان المالكي أثناء حضوره إحدى المباريات بين منتخب سوريا الوطني ومنتخب خفر السواحل المصري.

أقيم في أرض المعرض ملعب بلدي لكرة القدم ومكان خاص للعروض العسكرية، وملعبان للتنس، ومسبح كبير سمي بالمسبح البلدي. كما شيّد مسرح كبير في ما بعد سمي بمسرح معرض دمشق الدولي. إضافة إلى ذلك تم بناء أجنحة جديدة على امتداد نهر بردى من جوار التكية السليمانية قرب متحف دمشق الوطني عند قوس المعرض إلى منطقة الملعب البلدي والمسرح ومطعم الشرق (النبلاء حالياً).

دورة معرض دمشق الدولي الثانية:

أما فعاليات دورة المعرض الثانية فبدأت في 1 أيلول 1955 واستمرت لمدة شهر كامل، وقد أقيم المعرض على مساحة 250 ألف متر مربع، وزاد عدد زواره عن المليون زائر من مختلف الدول. شاركت في الدورة الثانية للمعرض ست وعشرون دولة عربية وأجنبية إضافة لعدد من المؤسسات والشركات الصناعية والتجارية السورية.

جرى حدثان هامان على هامش فعاليات هذه الدورة أولهما حضور أم كلثوم إلى دمشق وغناؤها في دار سينما دمشق في 15 أيلول 1955، وكان من ضمن الحضور فخري البارودي الذي ظل يمازح سيدة الغناء العربي قائلاً (اللّه يبليكي بحبي). أما الحدث الآخر فهو افتتاح مهرجان السينما العالمي على خشبة مسرح المعرض في الهواء الطلق وذلك من 8 أيلول 1955 وحتى نهاية الشهر، وعرضت فيه عدة أفلام عربية وأجنبية منها: بنات الليل (مصري)، وثورة الجسد (فرنسي)، وطابور الجميلات (أمريكي) وغيرها.

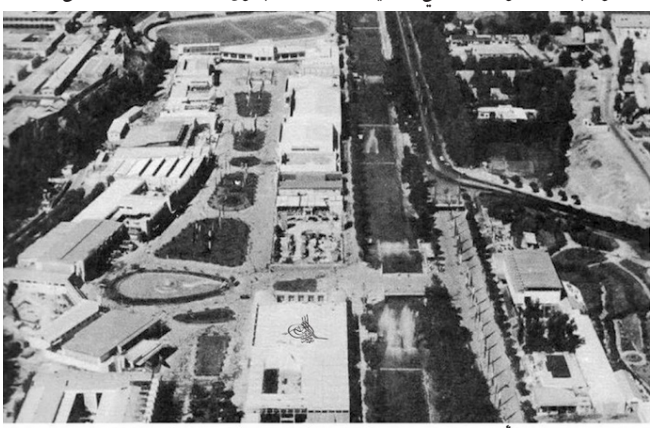

مدينة أرض معرض دمشق الدولي الجديدة في خمسينات القرن العشرين

أصدرت المؤسسة العامة للبريد عند انطلاق هذه الدورة طابعاً بريدياً تذكارياً وأصبح تقليداً يرافق كل دورات المعرض التالية.

دورة معرض دمشق الدولي الخامسة (زمن الوحدة بين سوريا ومصر):

أقيمت هذه الدورة عام 1958 وكانت دورة مميزة واستثنائية بكل المعايير التاريخية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، واستمرت مدة عشرين يوماً مليئة بالفعاليات الفنية والترفيهية رغم قصر مدتها، وتم توزيع الكثير من الهدايا في جناح الجمهورية العربية المتحدة. وفي ليلة 19 أيلول أطلقت الألعاب النارية المميزة من أرض الملعب البلدي لتملأ بضيائها سماء دمشق.

عن أرض المعرض:

أجمل ما كان يميز أرض هذا المعرض إقامة نوافير المياه ذات النصب والأشكال المختلفة والمزينة بأنوار ذات ألوان جذابة صادرة من تحت الماء، كما كان الصغار والكبار يستمتعون باللعب في مدينة الملاهي التي أقيمت جانب حديقة التجهيز مقابل سينما دمشق. إضافة إلى هذا وضعت إدارة المعرض صنابير المياه ومقاعد خشبية ليرتاح عليها الزوار. وكانت بعض العائلات تأتي باكراً لتحجز أماكن لها في الساحة محضرين معهم الطعام والشاي والقهوة فيتناولون وجبتهم في الهواء العليل على أرض المعرض. ومما يميز المعرض إذاعته الشهيرة التي تبث أجمل أغاني فيروز وعبد الحليم وفريد الأطرش وأسمهان وصباح وأم كلثوم وفايزة أحمد وحتى منتصف الليل.

وضعت إدارة المعرض أعمدة عالية حاملة لأعلام الدول المشاركة في المعرض على طول شارع الرئيس شكري القوتلي. وكان الباب الرئيسي للمعرض على نفس الشارع وكان له قوس مميز يشبه قوس قزح وقواعده مماثلة لقواعد برج إيفل ليسهل على الناس المرور من تحته. أنشئ القوس عام 1953 بحضور رئيس الجمهورية أديب الشيشكلي، لكنه أزيل عند بناء فندق الفصول الأربعة عام 2005.

ومن الجدير بالذكر أنه في ذلك الحين كان سعر تذكرة دخول المعرض للبالغين 50 قرشاً سورياً أما الأطفال فكان دخولهم مجانياً.

بيروت ووافدوها الجدد

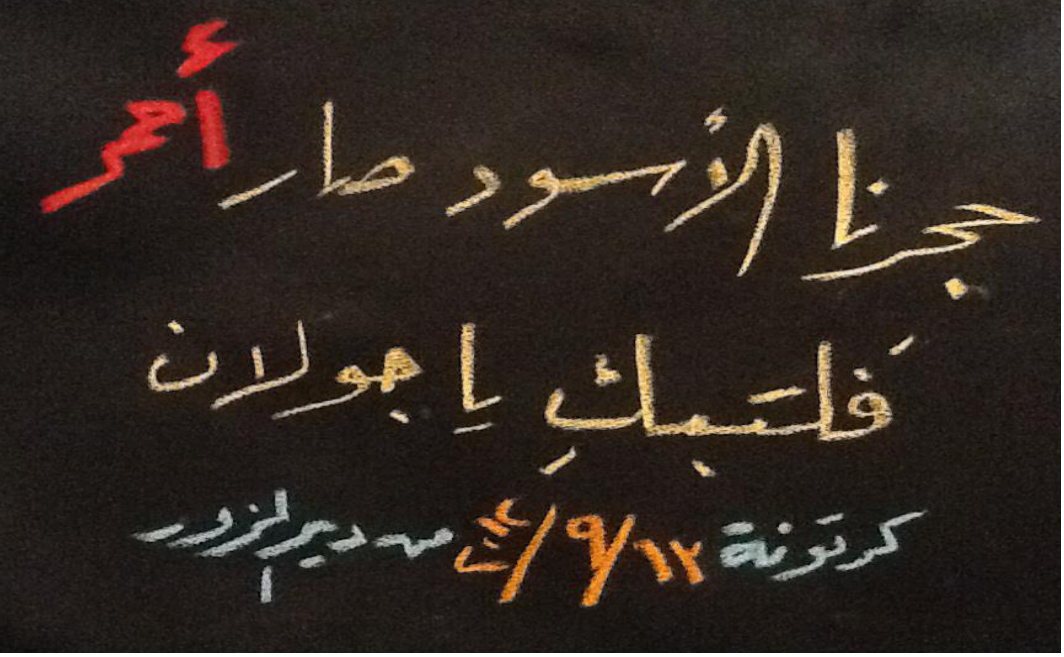

■ محمد العطار ونبراس شحيّد

الوجه الأصفر من معرة النعمان إلى بيروت

تُلقي جارتنا النرد في المقهى، ومعه تتدحرج الذكريات. وجوه البارحة تتناسل في مخيلة محمّد، لأرى في عينيه شيئاً من وجهها الأصفر. أسأله عن شكلها: "السيدة في بداية العقد الرابع، لها وجهٌ حنون ودمث. قابلتها في بيت أقرباء لها لجأوا إلى المخيم من قبلها". أتخيل المشهد: بيتٌ صغير في مخيم فلسطيني في بيروت، له غرفة واحدة، كغالبية البيوت هنا، ينام فيها قاطنوه كلهم، يجلسون، ويأكلون. "بادرتها بابتسامات مرتبكة"، يتابع محمد، "فأطرقت رأسها إلى الأرض شاكرة. ساد بعدها صمتٌ ثقيل، فلا مدخل لائق، وكلانا ينتظر. أحسم موقفي وأتحلى بالشجاعة لأسألها: "لمَ أنت هنا؟".

يغرق محمد في تفاصيل الحكاية صامتاً قبل أن يسردها ببطء. أمّ تفقد زوجها أولاً، وبعده ابنتها البكر وهي على وشك الولادة. قذيفة عمياء كباقي القذائف تقطع روحين متجاورين. أفكر في الجنين وادعاً لا يزال في رحم أمه الشهيدة، أيّ تجاور أبدي هذا؟ "كنتُ أدخل عليه أحياناً فأراه يحضن ثياب زوجته ويبكي، زوجان جديدان، لم تنقض سنة على قرانهما"، يعيد محمد على لسان المرأة. يخبرني عن صعوبة الموقف. "لم تستطع الصمود طويلاً، دموعها انحدرت على وجنتيها برقةٍ وببطء. أثناء حديثها، كنت أسترق النظر إلى شاشة التلفاز وراءها، حيث يظهر الأسد متحدثاً إلى قناة "الدنيا". لا تنتبه هي، أنقل نظراتي بين وجهها الدامع وشاشة التلفاز، أيّ مفارقةٍ هذه؟ ملهاة أم تراجيديا عصرية؟". مجدداً، يلمع وجه المرأة في عيني محمد. أراها فيهما تجمع أطفالها الثلاثة المتبقين، تهيم على وجهها حتى تصل إلى مخيم الداعوق في بيروت. "أحد الأطفال، وهو صبي صغير، يعاني من مشكلة في السمع، بسبب القذيفة. يجب أن يُعرَض على طبيب!". أتنهّد وأتذكر مريضاً سورياً آخر أدخله أصحابه الشهر الماضي إلى لبنان لتلقي العلاج، فالأطباء في سوريا لم يجدوا له حلاً بسبب نقص المعدات. دار أصحابه به مؤسسات بيروت، لكنهم لم يجدوا من يساعدهم في إسعافه، فلا نقود لديهم. لذا أعادوه إلى سوريا مجدداً من طريق الجبال! بيروت، هل "مُنذر" لا يزال على قيد الحياة؟!

بيروت النزوح وعجز الانكسار

يزوّدنا المقهى لحظاتٍ مقتطعةً من حياة قلقة. في المقهى أيضاً أستطيع أن ألقي على نبراس بعضاً مما يثقل على نفسي، ففعل البوح هنا نادرٌ وصعب، يتحايل على وحدة قاسية لنتعايش معها. يُخبرني نبراس عن شاب مقدام كان يعمل على إغاثة ما يقارب مئتي عائلة مشردة في دمشق. يحمل السكّر والأرزّ على ظهره إليهم. يلعب مع أطفالهم، ويجلب لهم الحلوى والأغاني. صديقنا هذا اضطر اليوم إلى الهرب من مدينته ومعه عائلته إلى بيروت. لم يجدوا مؤسسة تعطيهم فرشاً ليناموا فوقها! صديقٌ آخر كان قد كرّس نفسه للعمل مع عائلات النازحين المتكدسة في دمشق! جار عليه الزمان واضطر إلى الهرب من مدينته لأنه ملاحق. هو الآن تائه في بيروت! أنفق كل ما يملكه من أجل مشردين آخرين حتى صار منهم! بيروت، هل تسمعين صراخنا؟!

في العيد المنصرم كانت إحدى الفتيات السوريات اللواتي هربن من سوريا، توزع ألعاباً على أطفال سوريين في أحد المخيّمات الفلسطينية. محاولة بائسة ربما لزرع البسمة. تهرول طفلة صغيرة محاطة بأقرانها، لتمسك برجل الفتاة وتصرخ: "أنا كمان بدّي لعبة". تنهرها امرأة فلسطينية بهية، وهي أم المخيم كله: "هدول بس للسوريين، روحوا إنتو". ينكمش الأطفال ويتراجعون لينظروا من بعيد، ترتبك الفتاة قبل أن تتابع توزيع الألعاب (القليلة) ثم تنسحب فجأة. أتابعها بنظراتي فأراها تبكي بحرقة، تبكي وتبكي. أبتعدُ لأنحني نحو الأطفال المختبئين خلف الجدار في انتظار أن يحصلوا على لعبة ربما. تسألني الصغيرة: "ليش عم تبكي هديك؟"، أبتسم بمشقة: "لأنو خلصو الألعاب". ينبري أحدهم وهو صغير جداً: "أنا بجيب لعبي، لا تخليها تبكي"، ثم يهرول ويصحبه ركب الأطفال مُحدثين جلبة. أنهض وأغادر المخيم مسرعاً.

كجندي "يُشعل لفافته بين الأنقاض"

بيروت، نلتجئ إليك فلا تفتحي أذرعك! لمَ؟ تتداخل خيالات منذر في رأسي مع كلمات العامل القادم من درعا في رأس محمّد: "أبحث عن مكان آمن أعيش فيه! هل من المعقول أن أنجو من المجزرة في سوريا ليتم اختطافي هنا؟"، يبتسم مكشراً، ويعرض على محمد قميصه المثقوب. "هذا أثر رصاصة! في منزلنا لم يوفر الجنود حتى خزانة الملابس! لقد أطلقوا النار على كل شيء". يتكرر في الذاكرة ضجيج غالبية سائقي السرفيس الذين أقلونا: "في سوريا توجد مؤامرة لا ثورة!". أحد السائقين قال لصديقتنا: "لو كنت أعرف أنك سورية لما سمحت لك بصعود سيارتي!". أصواتٌ، صخبٌ تهدر به الذاكرة، لترسم حكايات الغربة في بيروت، فتتقاطع مع قصائد قديمة: "ضمّني بقوة يا لبنان. أحبك أكثر من التبغ والحدائق. أكثر من جندي عاري الفخذين يشعل لفافته بين الأنقاض" (المأغوطا). بيروت هل تسمعيننا؟!

لمَ لا تُقربنا شفتا الجرح الواحد؟

يوقظنا النرد مجدداً من تراكم الأصوات وأشخاص الحكايات، يتدحرج على الطاولة المجاورة. "شيش بيش" تقول الفتاة. ألتفتُ إليها لأتذكر باسل شحادة. لقد كان هنا حول الطاولة هذه في نيسان الماضي قبل أن نُلحق اسمه بلقب "شهيد". تجمّعنا حوله ليخبرنا عن أحوال الأحباب في دمشق وحمص. "الوضع مأسوي! أحياءٌ كاملة محرومة من الطعام"، كان يقول. يشتمّ الجميع سوء الحال، ليسود بعدها الصمت في مقهى الذاكرة. هؤلاء الجياع هم الآن هنا في بيروت، وأمعاء المدينة يلفظهم. لكن، بيروت، لا نريد أن نحمّلك مأساتنا كلها، فقد عرفت مثلنا أيضاً جورَ أهلك، بعضهم، وظلمَ ذوي القربى على حدٍ سواء. سباقةٌ أنتِ في حمل المآسي، وفي تحمل وزر المستبدين، لذلك اعتقدنا أنك الأقرب إلى بوح القلب حين يُفشي أسراره. في المقهى الصغير نبحث عن ملجأ بلون الوطن، ننسجه من ذكرياتنا، من أحلامنا، من حكاياتنا. في هذا المقهى المختبئ، تردنا الاتصالات كلّ مرّة تتصاعد فيها الأحداث لتحذرنا من الخروج بسبب الخطف العشوائي! سخريةٌ مريرة بلون الغربة. سوريون ينشدون الأمان، فيُختطفون لأنهم ولدوا من جديد. في بيروت "القريبة والبعيدة"، بيروت "اللدودة"، يُدفع السوريون، عمالاً ولاجئين، أثماناً باهظة. نفكر في الزمجرات والتهكم التي يستقبلنا بها البعض عندما يعرفون أننا سوريون، بإيجارات البيوت التي تتصاعد، وتكلفة الحياة الباهظة هنا. لكن في بيروت القاسية، نجد أيضاً من يحتضننا ويشاركنا همومها خبرها جيداً. بيروت، أيّ مدينةٍ أنت، ظلمناك وتظلمينا؟!

ليل بيروت والسكينة الموقتة

يتوقّف النرد عن الدوران، وتتثاقل الأقدام إلى البيت عائدةً تجرّ حكاياتها. أفكر دوماً في ليل بيروت، يتقاسمه أهلها السّاهرون والسوريون الناجون فيها؛ ليل بيروت الذي يعطي الوافدين بعض السكينة الزائفة. أمارس هوايتي اليومية في السير المتثاقل في الهزيع الأخير من الليل. أمرّ بجانب محطة بنزين، وكما الليالي السابقة أشاهد شاباً يركب دراجة هوائية مترنحاً كمن يقود دراجة للمرة الأولى. أقرر أن أقترب منه هذه المرة: "هل تتعلم قيادة الدراجة؟"، يرتبك ويكاد يقع. "نعم، أحاول. هذا مفيد للحركة ليلاً حيث لا زبائن كثر". أعرف من لهجته أنه من السويداء، فيؤكد لي ذلك، "وأنت من أين؟"، "من دمشق" أجيبه. لا يزال مرتبكاً، فأبادره القول: "لم أستطع مقاومة فضولي، فأنا أمرّ كل ليلة تقريباً من هنا، وأشاهدك تحاول ركوب الدراجة الهوائية"، فيفاجئني بدوره: "أراك أيضاً تتمشى برفقة صديق لك أحياناً"، "نعم نبراس". يسألني: "هل تعملان هنا؟"، ابتسم: "ربما، أنا أعمل في مجال المسرح، وتالياً أنا لا أعمل، أما صديقي فهو رجل يبحث عن أجوبة، أو ربما عن أسئلة!". تبدو الحيرة واضحة على محياه، "لا عليك، لماذا تتعلم ركوب الدراجة هنا؟"، أسأله ليجيب: "أظن أنها أفضل وسيلة لأتحرك قليلاً أثناء وردية الليل". أقول له: "ما رأيك أن نعود إلى سوريا على الدراجات الهوائية؟ الطريق شيقة وجميلة، والمسافات أقرب بكثير مما تبدو عليه. عليك التدرب جاداً فربما نعود قريباً". يبتسم ويسأل: "قريباً؟"، أجيب: "عليك التدرب، فالحرية كما الحب لا يستأذنان عند القدوم؟". يضحك كاشفاً أسناناً جميلة: "نعم قريباً"، ثم يواصل القيادة مرتبكاً، ويبدأ بالدوران حولي، تنتظم حركاته رويداً رويداً. "أنت جاهز تقريباً" أقول له، ويستمر بالدوران حولي بحركات تزداد ثقة، "نعم جاهز... كالحرية" يجيبني، ثم يضحك كالأطفال مزهواً بإنجازه، يضحك ويضحك. إنه أول أيلول، والهواء الراكد في صيف بيروت القائظ بدأ يتحرك ليذكرنا بأن الخريف يلوح لنا ولو من بعيد. أجلس متكئاً على سور متسخ، مراقباً صديقي الجديد المبتهج. تبدو بيروت الليلة أقرب منا وإلينا. ليلها يهدهد أشواقنا، لكن ماذا عن الغد؟ ماذا يا بيروت؟

النهار اللبنانية 15 / 9 / 2012

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (25617)

دمشق: 1440
ريف دمشق: 4418
حمص: 6337
حلب: 2398
حماه: 2380
اللاذقية: 492
طرطوس: 46
درعا: 2538
دير الزور: 1742
الحسكة: 137
القنيطرة: 57
الرقة: 95
ادلب: 3516
السويداء: 21

2802 عدد العسكريين
22815 عدد المدنيين
1509 عدد الإناث
704 عدد الأطفال الإناث
1709 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 15 / 9 / 2012
http://vdc-sy.or